الفصل الثاني

الهجرة وآثارها
في انتشار الإسلام بإفريقيا

يحتوي هذا الفصل على:

- أولا: هجرة صحابة رسول الله ﷺ إلى الحبشة
- ثانيا: أهم الهجرات الإسلامية لأفريقيا

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل الثاني
الهجرة وأثرها في انتشار الإسلام بإفريقيا

إن العلاقات بين العرب والأفارقة قديمة جداً، فلقد كانت الصلة بين سكان شبه الجزيرة العربية وأفريقيا، ميسورة وسهلة عن طريق مضيق باب المندب، وشبه جزيرة سيناء، وكانت سواحل المحيط الهندي الأفريقية والعربية تمثل نقاط تواصل مهمة بين المنطقتين، وفي وسط الصحراء كانت الإبل وسيلة التواصل البري مع جنوب الصحراء وشمالها [1].

والأمر الذي لا شك فيه أن الصلات كانت قائمة لا تنقطع قبل الإسلام [2]، وعندما ظهر الإسلام في القرن السابع الميلادي أدى ذلك إلى ازدياد وشائج الاتصال العربي الأفريقي، لأن الإسلام أمدّ العرب بسياج ديني وفكري ساعدهم على خلق وحدة وطنية وازدهار نهضة ثقافية، ومنذ البدء صار الإسلام الركيزة الأساسية للثقافة العربية الجديدة. كما أصبحت اللغة العربية لغة القرآن الكريم حاضنة الفكر الإسلامي والثقافة الإسلامية، وتحت راية الإسلام خرج العرب صوب الشرق والغرب والشمال لإعلاء كلمة الله. وفي زمن وجيز تمكّنوا من نشر الإسلام في أجزاء كبيرة من القارة الأفريقية [3].

ولم يتوقف نشاط الهجرات الإسلامية لأفريقيا عند الساحل بل تعمّقت في كثير من الأحوال حتى وصلت قلب القارة، ويلاحظ أن المهاجرين العرب لأفريقية قلّما صحبوا زوجاتهم في هجراتهم، فالمرأة العربية كانت التقاليد تحميها من المغامرات والأخطار [4].

وكان العربي قريب الشبه في زيّه وطعامه من أصحاب البلاد الأصليين، أو إن صح التعبير له قدرة ليصبح كذلك، ونتج عن هذا أن حدث تزاوج وارتباط واسع المدى بين الطرفين، وهذا الارتباط قصّر المسافة بين الجانبين ويسّر انتشار الإسلام بين هذه الجماعات،

---

(1) علي الشطشاط: الهجرات العربية إلى شرق أفريقيا، ص 420.

(2) جمال قاسم: الأصول التاريخية للعلاقات العربية الأفريقية، ص 55.

(3) علي الشطشاط: المرجع السابق، ص 467.

(4) شلبي، أحمد: موسوعة التاريخ الإسلامي – الإسلام والدول الإسلامية جنوب صحراء إفريقية منذ دخلها الإسلام حتى الآن، مكتبة النهضة المصرية (القاهرة، 1421هـ/ 2000م) ط6، 6/ 182.

وأحسّ المسلمون من سكان البلاد الأصليين أن العرب جاءوا من أرض النبي (ﷺ) فسلّموهم القيادة في كثير من الأحوال، يقول Mocr: «إنّه قلّ أن ترىٰ أسرة حاكمة في غربي أفريقية لا تنتسب إلىٰ أصل عربي، ومنهم من يرتفع بنسبه إلىٰ الأسر التي حكمت في الشرق كالأمويين، بل أحياناً إلىٰ الأسر التي ترتبط بالرسول (ﷺ) كالعلويين والعباسيين والفاطميين»[1].

ونتج عن استقرار العرب الدائم في أفريقيا إقامة كيانات سياسية عربية إسلامية، وشهد الساحل الشرقي لأفريقيا قيام الكثير من الإمارات والمدن العربية والإسلامية، وكثر عدد العرب المهاجرين إلىٰ الساحل واستقرارهم الدائم فيه، ورغم ارتفاع درجة الحرارة ارتفاعاً كبيراً علىٰ الساحل، فإن العرب لم يتأثروا بهذا المناخ، لأنهم كانوا يأتون عادة من مناطق أشد حرارة، وهي جنوب الجزيرة العربية وسواحل عمان[2].

كما لقي العلماء والمفكرون الذين هاجروا إلىٰ أفريقيا من الحجاز والعراق وغيرهما، كنفاً ليناً وبسطةً في العيش في المناطق التي رحلوا إليها، فأغراهم ذلك ليستقروا بها وينشروا دين الله ويخدموا العلم، فاتخذوا من هذه المناطق مأوىً جديداً واستوطنوها[3].

ولعبت الهجرات الإسلامية إلىٰ داخل القارة دوراً كبيراً ومهماً في نشر الإسلام في هذه المناطق منذ بداية الدعوة الإسلامية، التي أخذ سيدنا محمد (ﷺ) يشع نورها بين مشركي قريش في مكة، فتعرّض صلوات ربّي وسلامه عليه إلىٰ الاضطهاد والإهانة البالغة وتعرّض أصحابه (رضي الله عنهم) للقتل والتعذيب، فأشار علىٰ أصحابه بالهجرة إلىٰ بلاد الحبشة، وبذلك كانت هذه الهجرة، أول اتصال للعرب بأفريقيا بعد ظهور الإسلام، وكانت النواة الأولىٰ للإسلام في أفريقيا، وسأحاول تتبع أهم هذه الهجرات الإسلامية بداية من هجرة صحابة رسول الله (ﷺ) إلىٰ الحبشة وما تلاها من هجرات عربية وغير عربية إسلامية إلىٰ أفريقيا ودور القبائل وتحركاتها داخل القارة، وأثر ذلك في نشر الإسلام في أفريقيا جنوبي الصحراء[4].

(1) أحمد شلبي، المرجع السابق، 6/ 182 – 183.

(2) جمال قاسم، المرجع السابق، ص 55 – 56.

(3) أحمد شلبي، المرجع نفسه، 6/ 183.

(4) علي الشطشاط، المرجع السابق، ص 457.

أولاً: هجرة صحابة رسول الله (ﷺ) إلى الحبشة:

إن الهجرة إلى داخل أفريقيا من أهم العوامل وأولها في نشر الإسلام في أفريقيا، فكان أول اتصال بين المسلمين وأفريقيا، هجرة المسلمين إلى بلاد الحبشة، فقد أحدث ظهور الإسلام انقلاباً خطيراً في مجتمع مكة الجاهلي، بدعوته إلى وحدانية الله وترك عبادة الأصنام والأوثان والشرك بالله، والأخذ بتعاليم السماء الجديدة التي جاء بها الرسول محمد (ﷺ) [1].

فحينما بُعث الرسول (ﷺ) بدين الإسلام بدأ بدعوة أهل بيته وعشيرته، ثم أمره الله تعالى بتبليغ الرسالة آمراً إياه بذلك فقال في كتابه العزيز: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ(213) وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ(214) فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ(215)﴾ [2].

وبعد أن أنذر عشيرته وَكَلّفه تعالى بتبليغ رسالته للناس كافة يقول تعالى في كتابه الكريم: ﴿ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ(94) إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِءِينَ(95)﴾ [3] وقال أيضاً تبارك وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ (69)﴾ [4].

وعند ذلك واجه الرسول (ﷺ) مصاعب كثيرة، وثورة كبار المشركين، وأشراف مكة ضد دين الإسلام ورسول الإسلام، فقد أمر بالقضاء على دين الآباء المنحرف والشرك والكفر الذي كانوا يعيشون فيه، كما أنه ساوى بين الطبقات، ولم يُبق أي تمييز بين إنسان وآخر، سواءً أكان حراً أم عبداً إلا بالتقوى والعمل الصالح [5].

وكان معظم من آمن بالرسول (ﷺ) عدا أهل بيته الطاهرين، من الضعفاء والعبيد في مكة، فنالوا أنواع التعذيب كافة من المشركين، وكان التعذيب بالضرب والجوع والعطش

(1) المشري، محمد: بلاد القرن الأفريقي، شعبة التثقيف والإعلام والتعبئة (طرابلس، 1428م) ص 64

(2) سورة الشعراء: الآيات (413 – 415).

(3) سورة الحجر: الآيتان (94 – 95).

(4) سورة المائدة: الآية (69).

(5) سامية منيسي: إسلام نجاشي الحبشة، ص 37.

والحبس، كذلك طُرحوا في رمضاء مكة حين يشتد الحرّ ليفتنوهم عن دينهم وبذلك تعدّد البلاء عليهم، فمنهم من فتن من شدّة البلاء ومنهم من صمد على دينه وعصمه الله منهم [1].

ومن الصحابة الذين عذّبوا بلال بن رباح الذي كان لبعض بني جمح وكان أمية بن خلف الجمحي يطرحه على ظهره في بطحاء مكة عندما يشتد الحر، ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره ويقول له: «لا تزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد وتعبد اللات والعزى» ، فيقول سيدنا بلال: «أحد – أحد» وظل هكذا حتى اشتراه أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) وأعتقه [2].

كذلك كانت معاناة عمار بن ياسر وأبيه وأمه من بني مخزوم، وكان الرسول (ﷺ) يمر عليهم ويقول لهم: «صبراً آل ياسر فإن موعدكم الجنة»، وكان أبو جهل يغري بهم في الرجال من قريش، فكان إذا سمع بالرجل أسلم، وكان له شرف ومنعة في قومه، أتّبه قائلاً: «تركت دين أبيك، وهو خير منك، لنسفّهن حلمك ولَنُفَيِّلَنَّ [3] رأيك ولنضعنّ شرفك». وإن كان تاجراً قال له: «والله لنكسدن تجارتك ولنهلكن مالك». وإن كان ضعيفاً ضربه وأغرى به، فكانوا يضربون ضعفاء المسلمين، ويجيعونهم ويعطّشونهم حتى لا يقدر أحدهم أن يستوي من شدّة ما نزل به [4].

ولما رأى رسول الله (ﷺ) ما أصاب أصحابه من البلاء والعذاب، وما هو فيه من العافية لمكانه من الله عز وجل ودفاع أبي طالب عنه، وأنه لا يقدر أن يمنعهم [5]، قال لهم: «تفرقوا في الأرض فإن الله سيجمعكم، قالوا: إلى أين نذهب ؟ قال: ها هنا وأشار بيده إلى أرض الحبشة» [6].

(1) سامية منيسي ، المرجع السابق، ص 37.

(2) ابن هشام، السيرة النبوية، 1/ 262 – 263.

(3) لَنُفَيِّلَنَّ: أي لنقبحه ونخطئه. ابن هشام، المصدر السابق، 1/ 265.

(4) ابن هشام، المصدر السابق، ص 1/ 265.

(5) رضا، محمد: محمد (ﷺ)، المكتبة العصرية (بيروت، 1426هـ/ 2005م) ص 114.

(6) السيوطي: رفع شأن الحبشان، ص 142.

وقال أيضاً عليه الصلاة والسلام للصحابة: «لو خرجتم إلى أرض الحبشة فإن بها ملكاً لا يظلم أحد عنده حتى يجعل الله لكم فرجاً ومخرجاً مما أنتم فيه»[1]، «فتحرزوا عنده حتى يأتيكم الله بفرج منه»[2].

يقول الحاكم في المستدرك أن النبي (ﷺ) عندما رأى أذى المشركين للمسلمين قال لهم: تفرقوا «وأشار إلى أرض الحبشة، وكانت ترحل إليها قريش رحلة الشتاء، فكانت أول هجرة في الإسلام»[3].

وكان اسم النجاشي وقتئذ أصحمة بن أبجر، ومعنى أصحمة بالعربية عطية، والنجاشي اسم لكل ملك يلي الحبشة وكان الأحباش مسيحيين نسطوريين [4]، ويشير الطبري إلى عدل النجاشي وصلاحه قائلاً: «وكان بالحبشة ملك صالح يقال له النجاشي لا يظلم أحد بأرضه، وكان يُثنى عليه مع ذلك صلاح وكانت أرض الحبشة متجراً لقريش يتجرون فيها رفاغاً من الرزق وأمناً ومتجراً حسناً»[5].

واختار الرسول (ﷺ) الحبشة لأنها أرض صدق وهي أقرب البلاد المسيحية التي يحكمها ملك مسيحي إلى الجزيرة العربية، والسفر إليها أهون أمراً وأسلم عاقبة، إذ أنه لا يزيد عن كونه عبور البحر الأحمر وهو مما لا شك أسلم من اختراق الجزيرة العربية شمالاً أو جنوباً، خلال القبائل المعادية، ولم يكن اختيار الرسول (ﷺ) للحبشة للصلات التجارية القوية، وإنما كما قال (ﷺ):«فإن بها ملكاً لا يظلم عنده أحد» بحيث يكون المسلمون في أمان من أن ينزل بهم ضرّ أو أن يسلّمهم إلى من لا يرحمهم [6].

(1) محمد رضا، المرجع السابق، ص 114.

(2) ابن الجوزي، جمال الدين أبي الفرج: المنتظم في تاريخ الملوك و الأمم، تحقيق: محمود فاخوري، دار الكتاب العربي (بيروت، بدون تاريخ) ط1، 1/ 679.

(3) الحاكم النيسابوري، أبي عبدالله محمد بن عبدالله: المستدرك على الصحيحين، تحقيق: مصطفى عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية (بيروت، 1411هـ/ 1990م) ط1، 2/ 68 – 69.

(4) احمد الأحمر، المرجع السابق، ص 59.

(5) الطبري، المصدر السابق، 2/ 328.

(6) سامية منيسي، المرجع السابق، ص 39 – 40.

وكانت الهجرة إلى الحبشة هجرتين، الأولى كانت في رجب سنة خمس من البعثة (615م) وكان الذين خرجوا اثني عشر رجلاً وأربع نسوة، حتى انتهوا إلى ميناء الشعيبة، ومنهم الراكب والماشي[1]، ووفق الله المسلمين ساعة وصولهم الميناء سفينتين للتجار[2]، فاستأجروهما بنصف دينار للحبشة [3] وهم: عثمان بن عفان ومعه امرأته رقية بنت رسول الله (ﷺ) وأبو حذيفة بن عتبة ومعه امرأته سهلة بنت سهيل، ومصعب بن عمير، والزبير بن العوام، وعبدالرحمن بن عوف، وأبو سلمة بن عبد الأسد ومعه امرأته أم سلمة، وعثمان بن مظغون وعبدالله بن مسعود، وعامر بن ربيعة ومعه امرأته، وليلى بنت أبي هيثمة وأبو سبرة وحاطب بن عمر وسهيل بن بيضاء وهو سهيل ابن وهب [4].

وعندما استقر هؤلاء المهاجرون بالحبشة وجاوروا النجاشي، وأمنوا على دينهم، عبدوا الله لا يؤذون، ولا يسمعون شيئاً يكرهونه، وقد أحسن النجاشي جوارهم حين نزلوا به [5]، وكان مما قيل من الشعر في الحبشة قول عبدالله ابن الحارث بن سهم:

يا راكباً بَلِّغَـــن عنِّي مغلغلـــة ❖ من كان يرجو بلاغ الله والدين
كل امرئ مـــن عباد الله مضطهد ❖ ببطن مكـــة مقهور ومَفتونِ
أَنَّا وجدنا بـــلاد الله واسعـــة ❖ تُنجي من الذّل والمخزاة والهون
فلا تقيموا على ذُلّ الحيـــاة وخزيٍّ ❖ في الممات وعيـــب غير مأمون
إنا تبعنـــا رســـول الله واطَّرَحوا ❖ قـــول النبي وَعالُوا في الموازين
فاجعل عذابك بالقوم الذين طغوا ❖ وعائِذ بـك أن يعلُوا فيطْغُوني[6].

ثم وصلت أخبار إلى المهاجرين بالحبشة مفادها أن قريشاً أسلمت، فرجع بعضهم إلى

(1) ابن الأثير، أبو الحسن علي: الكامل في التاريخ، دار الكتاب العربي (بيروت، 1406هـ/ 1980م) 2/ 51.
(2) الطبري، المصدر السابق، 1/ 546.
(3) ابن كثير: البداية والنهاية، 2/ 80 – 81، كذلك السيوطي: رفع شأن الحبشان، ص 144 – 145.
(4) ابن هشام، المصدر السابق، 1/ 266 – 272، كذلك بن خلدون: العبر، 2/ 412 – 413.
(5) المصدر نفسه، 1/ 273.
(6) المصدر نفسه، 1/ 273.

مكة، ولكنّهم وجدوا المسلمين بمكة على ما كانوا عليه من تعذيب قريش لهم ونفيهم، ودخل مكة بعضهم مختفياً وبعضهم بالجوار [1].

يقول ابن سعد: إن المهاجرين في الحبشة قالوا: «فمن بقي في مكة إذا أسلم هؤلاء؟ وقالوا عشائرنا أحب إلينا، فخرجوا راجعين حتى إذا كانوا دون مكة بساعة من نهار، لقوا ركباً من كنانة فسألوه عن قريش وعن حالهم» فقال الركب: «ذكر محمد آلهتهم بخير فتابعه الملأ، ثم ارتد عنها فعاد لشتم آلهتهم وعادوا له بالشر، فتركناهم على ذلك» فائتمر القوم في الرجوع إلى أرض الحبشة، ثم قالوا: «قد بلغنا، ندخل فننظر ما فيه قريش ويحدث عهداً من أراد بأهله ثم يرجع»، فدخلوا مكة ولم يدخل أحد منهم إلا بجوار إلا ابن مسعود فإنه مكث يسيراً ثم رجع إلى الحبشة[2] والسبب الرئيس لعودة المسلمين من الحبشة هو إسلام حمزة بن عبدالمطلب وعمر بن الخطاب، فإسلام حمزة (رضي الله عنه) قد كان بسبب العصبية القبلية ثم حسن إسلامه، أما عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) فهو الذي دعى له الرسول (ﷺ) بالإسلام حيث قال: «اللهم أيد الإسلام بأبي الحكم بن هشام أو بعمر بن الخطاب» وعندما أسلم كبر الرسول (ﷺ) وبذلك عز الإسلام بحمزة أسد الله والفاروق عمر (رضي الله عنهما) حتى إن المسلمين لم يستطيعوا أن يصلوا عند الكعبة إلا بعد إسلام عمر بن الخطاب حيث أصبحوا في قوة ومنعة من المشركين[3] ورجع المسلمون واستمرت الهجرة إلى الحبشة وتتابع المسلمون إليها فيما يطلقون عليها بالهجرة الثانية، وكان فيها جعفر بن أبي طالب (رضي الله عنه) ومنهم من خرج بأهله معه، ومنهم من خرج بنفسه، فكان من لحق بأرض الحبشة ثلاثة وثمانون رجلاً عدا زوجاتهم وأبنائهم[4]، وتزايدت الهجرة حتى بلغت ما يقارب الستمائة مسلم، وهؤلاء المهاجرون لم يهاجروا جميعاً من مكة، بل إن بعضاً منهم قد هاجر من اليمن برئاسة أبي موسى الأشعري[5].

(1) ابن خلدون، المصدر السابق، 2/ 414 – 415.

(2) ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع: الطبقات الكبرى، دار الكتب العلمية (بيروت، 1418هـ/ 1997م) 1/ 161.

(3) سامية منيسي، المرجع السابق، ص 45 – 46.

(4) علي الشطشاط: وسائل انتشار الإسلام في أفريقيا، مجلة الجامعة الأسمرية، السنة الثانية، العدد الثالث، الجامعة الأسمرية (زليتن، 1371و.ر / 2003م) ص 468 – 469.

(5) ابن كثير، المصدر السابق، ص 2/ 83.

قال السيوطي في هجرة أبي موسى الأشعري، أن أبا موسى كان باليمن وخرج مهاجراً من اليمن إلى رسول الله (ﷺ) حينما علموا بهجرته إلى المدينة، فخرجوا في بضع وخمسين رجلاً في سفينة، فألقتهم السفينة نحو الحبشة حيث النجاشي والمهاجرون، فوافقوا جعفراً وأصحابه، فأمرهم جعفر بالإقامة معهم حتى قدموا الرسول (ﷺ) بعد فتح خيبر[1].

وذكر البخاري في صحيحه حديثاً رواه أبو بردة عن أبي موسى الأشعري (رضي الله عنه) أنه قال: «بلغنا مخرج النبي (ﷺ) ونحن باليمن فركبنا سفينة، فألقتنا سفينتنا إلى النجاشي بالحبشة، فوافقنا جعفر بن أبي طالب، فأقمنا معه حتى قدمنا»، فوافقنا النبي (ﷺ) حين افتتح خيبر فقال النبي (ﷺ):«لكم أنتم يا أهل السفينة هجرتان»[2].

وكانت الهجرة إلى أرض الحبشة مرتين، فكان المهاجرون في المرة الأولى اثني عشر رجلاً وأربع نسوة، ثم رجعوا فلقوا من المشركين أشدّ مما عهدوا، فهاجروا ثانية، وكانوا ثلاثة وثمانين رجلاً، إن كان فيهم عمار بن ياسر، ففيه خلاف بين أهل النقل، وثماني عشرة امرأة إحدى عشرة قرشيات، وسبعاً غرائب، وبعثت قريش في شأنهم مرّتين: الأولى عند هجرتهم والثانية عقيب وقعة بدر، وكان عمرو بن العاص رسولاً في المرتين، ومعه في أحداهما عمارة بن الوليد، وفي الأخرى عبدالله بن أبي ربيعة المخزوميان [3].

أمن المهاجرون في الحبشة على أنفسهم ودينهم، حتى أرسلت قريش إلى النجاشي ليرد عليهم المسلمين الفارين كي يقتضوا منهم ويرغموهم على الكفر والإلحاد، وجمعوا الهدايا مما يستطرف من متاع مكة، وكان النجاشي يحب الأدم من مكة، فجمعوا له أدماً كثيرة، ولم يتركوا بطريقاً من بطارقته إلا وأهدوا له هدية [4].

(1) السيوطي، المصدر السابق، ص 195 – 196.

(2) البخاري، أبي عبدالله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن برد: صحيح البخاري، تحقيق: أبو عبدالله محمود الجميل، مكتبة الصفا (القاهرة، 1423هـ2003م) 4/ 625.

(3) ابن سيد الناس اليعمري، فتح الدين أبو الفتح محمد بن محمد بن عبدالله بن يحيى: عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي، دار الآفاق الجديدة (بيروت، 1402هـ/ 1982م) ط3، 1/ 143/ 144.

(4) سامية منيسي: إسلام نجاشي الحبشة، ص 57.

ثم قدّم الوفد هداياهما إلى النجاشي، فقبلها منهما، وكلّماه في أن يسلّم لهم المسلمون، فقال النجاشي: «لا والله، إذن لا أسلمهم إليهما ولا يكاد قوم جاوروني، ونزلوا بلادي، واختاروني على من سواي، حتى أدعوهم فأسألهم عما يقول هذان في أمرهم، فإن كانوا كما يقولان أسلمتهم إليهما ورددتهم إلى قومهم، وإن كانوا على غير ذلك منعتهم منهما، وأحسنت جوارهم ما جاوروني»[1].

فدعي النجاشي المسلمين إلى الحضور للقائه مع أساقفته، ودار حوار بين المهاجرين والنجاشي انتهى إلى أن ردّ النجاشي هدايا قريش وأعلن حمايته للمسلمين المهاجرين، وطلب النجاشي من جعفر بن أبي طالب (رضي الله عنه) أن يقرأ له مما جاء من عند الله شيئاً، فقرأ عليه صدراً من سورة مريم (كهيعص) فبكى النجاشي حتى اخضَلَّت لحيته، وبكت أساقفته حتى أخضلوا مصاحفهم، حين سمعوا ما تلا عليهم ثم قال النجاشي: «إن هذا والذي جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة، انطلقا فوالله لا أسلمهم إليكما، ولا يكادون»[2].

فغضب عمرو بن العاص ورفيقه واتفقا على أن يذهبا إلى النجاشي مرة ثانية ويدّعيا أمامه بأن المسلمين يطعنون في عيسى بن مريم (عليه السلام) ففعلا ذلك، فأرسل النجاشي يستقدم المسلمين، فلمّا اجتمع القوم ؛ سأل النجاشي جعفر عما يقوله الإسلام في عيسى ابن مريم، فقال جعفر: «هو عبدالله ورسوله وروحه وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول» فأُعجب النجاشي من إجابته وقال والله ما عدا عيسى ابن مريم ما قلت هذا العودَ، اذهبوا فأنتم سيوم بأرضي – والسيوم: الآمنون – من سبكم ثرم، ورد هدايا قريش، وقال: «ردّوا عليهما هداياهما، فلا حاجة لي بها»[3].

وحين أعلن النجاشي حمايته للمهاجرين ورفضه تسليمهم لقريش وتصديقه لرسالة محمد (صلى الله عليه وسلم) وببشرية عيسى بن مريم (عليه السلام) وأنه عبدالله ونبيه ورسوله، وليس بن الله،

(1) ابن هشام، المصدر السابق، 1/ 276 – 277.

(2) المصدر نفسه، 1/ 278.

(3) السيد سالم: تاريخ الدولة العربية، مؤسسة شباب الجامعة (الإسكندرية، 1424هـ/ 2003م) 2/ 53.

خرجت عليه الحبشة وهم على دين النصرانية وقالوا له: «إنك فارقت ديننا»[1]، فأرسل النجاشي إلى جعفر والمهاجرين المسلمين، وأعدّ لهم سُفُناً وقال: اركبوا فيها وكونوا كما أنتم، فإن هزمت فامضوا حتى تلحقوا بحيث شئتم، وإن ظفرت فاثبتوا «ثم أخذ كتاباً وكتب فيه يشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمد عبده ورسوله، ويشهد أن عيسى ابن مريم عبده ورسوله وروحه وكلمته ألقاها إلى مريم، ثم جعل الكتاب في قبائه عند المنكب الأيمن وخرج إلى الحبشة وقد اصطفوا له»، فقال لهم: «يا معشر الحبشة، ألست أحقّ الناس بكم ؟ قالوا: بلى، قال: فكيف رأيتم سيرتي فيكم ؟ فقالوا: خير سيرة، قال: فما بالكم ؟ قالوا: فارقت ديننا وزعمت أن عيسى عبد، قال:فما تقولون أنتم في عيسى؟ قالوا: نقول هو ابن الله» فقال النجاشي ووضع يده على صدره عن قبائه وهو يشهد أنّ عيسى لم يزد على هذا شيئاً، وإنما يعني ما كتب، فرضوا وانصرفوا، فبلغ ذلك الرسول (ﷺ) فلما مات النجاشي صلى عليه واستغفر له[2].

ثم أرسل النجاشي وفداً إلى الرسول (ﷺ) من النصارى، وكانوا قرابة من عشرين رجلاً، ليستمعوا إلى رسالته ويروا صفاته، فعندما جلسوا إليه وكلّموه وسألوه ودعاهم الرسول (ﷺ) إلى الله وتلا عليهم آيات من القرآن، فلما سمعوا القرآن فاضت أعينهم من الدمع، واستجابوا له، وآمنوا برسالته وصدّقوه وعرفوا منه ومن أوصافه ما كان يوصف لهم في كتابهم بشأن نبوته[3].

وعندما قام الوفد اعترضهم كفار مكة وقالوا لهم: «خيبكم الله من ركب بعثكم من وراءكم من أهل دينكم ترتادون لهم لتأتوهم بخبر الرجل، فلم تطمئن مجالسكم عنده حتى فارقتم دينكم وصدقتموه بما قال ؟ ما نعلم ركباً أحمق منكم» فرد عليهم الوفد بقولهم: «سلام عليكم لانجاهلكم، لنا ما نحن عليه ولكم ما أنتم عليه. لم نأل أنفسنا خيراً»[4].

(1) ابن كثير، المصدر السابق، ص3/ 77.

(2) المصدرنفسه، 3/ 77 ؛ كذلك ابن هشام، المصدر السابق، 1/ 281.

(3) سامية منيسي، المرجع السابق، ص 68.

(4) ابن هشام، المصدر السابق، 2/ 36 – 37.

وفيهم نزل (والله أعلم)، قوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِن قَبْلِهِ هُم بِهِ يُؤْمِنُونَ(52) وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوا ءَامَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ(53) أُوْلَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُواْ وَيَدْرَؤُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (54) وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَمٌ عَلَيْكُمْ لا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ(55)﴾ [1].

ويذكر ابن كثير عن أبي أمامة قال: «قدم وفد النجاشي على النبي (ﷺ) فقال نحن نكفيك، فقال: إنهم كانوا لأصحابنا مكرمين وإني أحب أن أكافئهم»[2].

إسلام النجاشي وانتشار الإسلام بين الأحباش:

أنكر بعض المؤرخين والكتاب، وشككوا في إسلام النجاشي، ومن هؤلاء فتحي غيث في كتابه الإسلام والحبشة عبر التاريخ، حيث يشير إلى أن الرسول (ﷺ) أرسل فيمن أرسل إليهم من الملوك، كتاباً إلى النجاشي يدعوه فيه إلى الإسلام، فلو أن هذا النجاشي كان قد أسلم، لما كان هناك محل لإرسال الكتاب إليه، كذلك لا يجوز أن نستهين بالأثر الذي يتركه اعتناق ملك لدين جديد، فليس هذا الأمر الذي يمكن أن يمر بسهولة دون إحداث أيّ عواقب يكون لها أثر، يستحق التسجيل، الأمر الذي لم يرد له أيّ ذكر في المراجع الثابتة عن ذلك العهد [3].

ويضيف غيث قائلا: «أن النجاشي لم يسلم وإنما كان على المسيحية لكنه احترم الإسلام والمسلمين، وقدّرهم، وأن العلاقة بين المسلمين والنجاشي ما كانت لتصل إلى حالة الحرب للصلات الطيبة التي كانت ماثلة في الأذهان، وما يؤيد ذلك»، أن الرسول (ﷺ) قال: «اتركوا الأحباش ما تركوكم» ويشير أيضا إلى أن صلاة الغائب التي صلاّها الرسول (ﷺ) والمسلمون على النجاشي، بأنها إكرامٌ له واعترافٌ بفضله [4].

(1) سورة القصص: الآيات (52 – 55).

(2) ابن كثير، المصدر السابق، ص 3/ 78 ؛ كذلك، القرطبي: أبي عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري: الجامع لأحكام القرآن، دار الكتب العلمية (بيروت، بدون تاريخ) 13/ 196.

(3) فتحي غيث: الإسلام والحبشة عبر التاريخ، ص 56.

(4) المرجع نفسه، ص 57.

ومن المشككين أيضاً في إسلام النجاشي السير بدج الذي قال: «بالرغم مما يعرف عن الأحباش من تعصّب وكبرياء، فإن النجاشي عندما سمع بانتصارات محمد، وأنه يفرض اعتناق الإسلام أو القتل، ولم يكن النجاشي في حالة تسمح له بالتعرّض للحرب مع محمد وتعريض شعبه للقتل، وسفك الدماء، فإنه وجد من حسن السياسة أن يتفادى الهزيمة، بأن يعلن اعتناقه للإسلام، وأرسل الهدايا إلى الرسول، وبذلك أنقذ بلاده، وأصبحت الدولة الوحيدة في الشرق الأوسط التي حافظت على مسيحيتها سالمة من العدوان لعدّة قرون بعد حكم أرمحة»[1].

وسأحاول الرّد على هذه الأقوال، وإثبات إسلام النجاشي بما ورد في السيرة النبوية، وكتب الحديث، وما نقله المؤرخون المسلمون عن الصحابة والمهاجرين (رضوان الله عليهم أجمعين):

فأما الرسالة التي أرسلها الرسول (ﷺ) للنجاشي والتي يقول فتحي غيث: أنه لو أسلم لما كان هناك محل لإرسال كتاب إليه، فيذكر المؤرخون، ومنهم أبو الفرج بن الجوزي أن الرسول (ﷺ) تبادل عدد من الرسائل مع النجاشي، وأن النبي (ﷺ) دعاه فيها إلى الإسلام، فلبى دعوته وأسلم [2].

فالرسالة التي بعث بها الرسول (ﷺ) للنجاشي يدعوه فيها إلى الإسلام والتي أشار إليها غيث هي للنجاشي الذي تولى بعد النجاشي أصحمة الذي كان معه الاتصال الأول وفي ذلك يقول الطبري: «وفي السنة التاسعة للهجرة أرسل النبي إلى النجاشي هدايا فرّدت إليه لموت النجاشي، فأقام صلاة الغائب، وأرسل عمرو بن أمية بكتاب إلى النجاشي الجديد يدعوه إلى الإسلام»[3].

أما ابن حزم الأندلسي فقال في كتابه جمهرة أنساب العرب: «أنّ هذا النجاشي الذي

(1) فتحي غيث، المرجعالسابق، ص 57

(2) الزوجي، أبي الفرج عبدالرحمن: تنوير الغبش في فضل السودان والحبش، تحقيق: محمد بركات، دار جامعة أم درمان للطباعة والنشر (الخرطوم، 1414هـ/ 1993م) ص 71 – 72.

(3) الطبري، المصدر السابق، 2/ 188.

كتب إليه (ﷺ) الكتاب وبعث إليه عمر بن أمية الضمري، لم يسلم وأنه غير النجاشي الذي صلى عليه النبي (ﷺ) والذي آمن به وأكرم أصحابه»، وعن أنس (رضي الله عنه) قال: «أن النجاشي الذي كتب إليه ليس بالنجاشي الذي صلّى عليه» [1].

يقول محمد مصباح: «ولا يسعنا مع ذلك إلا الاعتماد على النص العربي مع التسليم بأن الاتصال الأول كان مع النجاشي أصحمة والاتصال الثاني – وهو الذي يشير إليه فتحي غيث – هو مع الملك الذي خلفه وهو ابنه أرمحة»[2].

وأما الرسالة التي بعثها الرسول (ﷺ) إلى النجاشي أصحمة بالحبشة مع عمرو بن أمية الضمري [3] ونصّها: «بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى النجاشي الأصحم ملك الحبشة سلام عليك. فإني أحمد إليك الله الملك القدوس المؤمن المهيمن وأشهد أن عيسى ابن مريم روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم البتول الطيبة الحصينة فحملت بعيسى فخلقه من روحه ونفخه كما خلق آدم بيده ونفخه وإنّي أدعوك إلى الله وحده لا شريك له والموالاة على طاعته. وأن تتبعني وتؤمن بي والذي جاءني فإني رسول الله – وقد بعثت إليكم ابن عمي جعفراً ومعه نفر من المسلمين فإذا جاءوك فأقرهم ودع التجبر فإني أدعوك وجنودك إلى الله وقد بلغت ونصحت فاقبلوا نصيحتي والسلام على من اتبع الهدى»[4].

وعندما وصلت الرسالة إلى النجاشي وضعها على عينيه ونزل عن سريره، فجلس على الأرض، ثم أسلم، ودعى بحق من عاج – وهو عظم الفيل – فجعل فيه كتاب رسول الله (ﷺ) وقال: لن تزال الحبشة بخير ما كان هذا الكتاب بين أظهرهم [5].

ورد النجاشي على الرسول (ﷺ) بكتابه الذي جاء فيه: «بسم الله الرحمن الرحيم إلى

(1) سامية منيسي، المرجع السابق، ص 90.

(2) احمد الأحمر: أفريقيا والعرب، ص 60.

(3) ابن خياط، خليفة بن خياط الليثي العصفري أبو عمر: تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق: أكرم ضياء العمري، مؤسسة الرسالة (بيروت، 1397هـ/ 1976م) ص 98.

(4) الطبري، المصدر السابق، ص 2/ 311 – 132.

(5) سامية منيسي، المرجع السابق، ص 69.

محمد رسول الله من النجاشي الأصحم بن أبجر سلام عليك يا نبيّ الله ورحمة الله وبركاته، فقد بلغني كتابك يا رسول الله فيما ذكرت من أمر عيسى، فورب السماء والأرض إن عيسى ما يزيد على ما ذكرت تفروقاً، إنه كما قلت، وقد عرفنا ما بعثت به إلينا وقرّبنا ابن عمك وأصحابه، فأشهد أنك رسول الله صادقاً مصدقا، وقد بايعتك وبايعت ابن عمك وأسلمت على يديه لله رب العالمين، وقد بعثت إليك يا بني أرها بن الأصحم ابن أبجر، فإني لا أملك إلا نفسي وإن شئت أن آتيك فعلت يا رسول الله، فإني أشهد أن ما تقول حق والسلام عليك يا رسول الله»[1].

فهذا الكتاب وإقراره وشهادته فيه بأنه رسول الله حيث شهد بأنه رسول الله الذي بشر به عيسى (عليه السلام) وإعلان إسلامه للرسول (ﷺ) ومبايعته له كما بايع ابن عمه جعفر بن أبي طالب (رضي الله عنه)، دليل صريح على إسلام النجاشي الأصحم، كذلك إرساله لابنه في ستين نفساً، ولكن سفينتهم غرقت في وسط البحر فغرق ابنه ومن كان معه، وعندما أتى جعفر الرسول (ﷺ) وكتابه قال له(ﷺ):«اتركوا الحبشة ما تركوكم»[2].

ومن الأدلة أيضاً على إسلامه خروج الحبشة عليه حينما علموا بخروجه عن دينهم النصرانية، وذكره أن عيسى بن مريم عبدالله ورسوله وكلمته التي ألقاها إلى مريم البتول (عليها السلام)[3].

كذلك قيامه بعمل وليمه لزواج النبي (ﷺ) بأم حبيبة[4] بنت أبي سفيان، حينما وكلّه النبي (ﷺ) ليزوجها له، وقال النجاشي: « إن من سنة الأنبياء إذا تزوّجوا أن يؤكل طعام على التزويج» فأكل الحاضرون ثم تفرقوا، وكان من خُطبته في هذه المناسبة الميمونة ما يدل على إسلامه حيث قال: «الحمد لله الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار، أشهد أن

(1) السيوطي: رفع شأن الحبشان، ص 227 – 228.

(2) الطبري، المصدر السابق، 2/ 132 ؛ كذلك السيوطي، المصدر السابق، ص 228.

(3) ابن هشام، المصدر السابق، 1/ 255.

(4) أم حبيبة هي: رملة بنت أبي سفيان وكان زوجها عبدالله بن جحش هاجر معها إلى الحبشة وأنجبت منه حبيبة، ثم ارتد عن الإسلام وتنصر، بينما ظلّت هي على إيمانها وتمسكها بالإسلام، ثم ما لبث أن مات عبدالله بن جحش بالحبشة على النصرانية. ابن هشام، المصدر السابق، 1/ 253.

لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله.. وأنه الذي بشّر به عيسى بن مريم (عليه السلام) أما بعد فإن رسول الله (ﷺ) كتب إليّ أن أزوجه أم حبيبة بنت أبي سفيان... إلخ»[1].

أما ما أشار إليه البعض وخاصة فتحي غيث بأن صلاة الغائب التي صلاها الرسول (ﷺ) على النجاشي هي من باب الإكرام والاعتراف بفضله، فالرد عليهم بما جاء في كتب الحديث الصّحاح، بأن الرسول (ﷺ) حينما توفي النجاشي نعاه للناس في اليوم الذي مات فيه وقال: «استغفروا لأخيكم» والأخوة هنا هي الأخوة في الإسلام[2].

وعن جابر بن عبدالله قال: قال رسول الله (ﷺ): «مات اليوم عبدالله صالح، أصحمة، فقام فأمّنا وصلّى عليه» وعن جابر أيضاً قال: قال رسول الله (ﷺ):«إن أخاكم قد مات فقوموا فصلوا عليه» قال: «فقمنا فصفّنا صفّين»[3]، وعن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: «أن رسول الله (ﷺ) نعى النجاشي في اليوم الذي مات فيه، وخرج بهم إلى المصلى، فصفّ بهم وكبر أربع تكبيرات»[4].

وعن أنس قال: قال رسول الله (ﷺ):«قوموا فصلوا على أخيكم النجاشي» فقال بعضهم، تأمرنا أن نصلّي على علج من الحبشة[5]، فأنزل الله تعالى: ﴿ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَن يُؤْمِنُ بِاللهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ للهِ لاَ يَشْتَرُونَ بِـ ءايَاتِ اللهِ ثَمَناً قَلِيلاً أُوْلَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ(199) ﴾[6].

(1) ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي بن محمد:الإصابة في تمييز الصحابة، دار الكتب العلمية (بيروت، 1415هـ/ 1995م) 1/ 348.

(2) النووي، محيى الدين أبو زكريا يحيى بن شرف: صحيح مسلم بشرح النووى، تحقيق: محمد بن عبادي بن عبدالحليم، مكتبة الصفا (القاهرة، 1424هـ/ 2003م) 7/ 36، كذلك، المقدسي، ابن قدامة: المُغْني، تحقيق: محمد شرف الدين خطاب، دار الحديث (القاهرة، 1416هـ/ 1996م) ط1، 3/ 271.

(3) النووي، المصدرالسابق، 7/ 37.

(4) مالك بن أنس، مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر الأصبحي: الموطأ، تحقيق: محمود بن الجميل، مكتبة الصفا (القاهرة، 1422هـ/ 2001م) ص 140.

(5) ابن حجر العسقلاني، المصدر السابق، 1/ 348.

(6) سورة: آل عمران، الآية (199).

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: « الصواب: أن الغائب إن مات ببلد لم يصلّ عليه فيه، صلّي عليه صلاة الغائب، كما صلى النبي (ﷺ) على النجاشي لأنه مات بين الكفار، ولم يُصلّ عليه، وإن صُلِّيَ عليه حيث مات. لم يصل عليه صلاة الغائب»[1]، ولو أنها اعترافٌ لفضل أو احترام كما يقول البعض لصلّى (عليه الصلاة والسلام) على عمّه أبي طالب، لأنّه الذي حمي الرسول (ﷺ) عندما كان في مكة، إلى أن توفي، فلماذا لم يصل عليه (عليه الصلاة والسلام) ؟.

ومن الأدلة على إسلامه أيضاً، أنه حينما بلغه انتصار الرسول (ﷺ) والمسلمين في بدر على أعدائهم من قريش، لبس خلقان ثياب بيض، وجلس على التراب وبعث إلى جعفر بن أبي طالب والمهاجرين، وبشّرهم بانتصار المسلمين على المشركين، ثم قال: «إنّا نجد فيما أنزل الله على عيسى (عليه السلام) أنّ حقاً على عباد الله أن يحدثوا تواضعاً عندما يحدث لهم نعمة، فلما أحدث الله لي نصر نبيه (عليه الصلاة والسلام) أحدثت له هذا التواضع»[2].

ومما ذكرنا يتجلى ما بلغته الصلات الودية والعلاقات الحسنة بين الرسول (ﷺ) وبين النجاشي الرجل الصالح المحب لعيسى ابن مريم (عليه السلام) والمتبع لتعاليمه ولبشارته برسول يأتي من بعده اسمه أحمد، ولم تأخذه العزة بالإثم والتجبّر والعناد، وقد كتم إسلامه عن الحبشة، حتى لا يعزلوه، ومن ثم يستطيع من مكانه هذا كملك للحبش أن يشجّع نشر الإسلام بينهم تدريجيّاً دون استخدام القهر والعنف، ولكن الله تعالى توفّاه، ولم يمهله حتى يتم ذلك[3].

يقول الشيخ عبدالرحمن الجبرتي: «أن النجاشي أول من آمن بالرسول (ﷺ) من الملوك ولم يره»[4].

ومما يؤكد انتشار الإسلام في الحبشة، دون ضغط أو قهر، وبفضل الهجرة إلى الحبشة، ما كان من وفد النجاشي الذي بعثه للرسول (ﷺ) في سنة غزوة أحد السنة الثالثة للهجرة،

(1) سامية منيسي، المرجع السابق، ص 84.

(2) ابن سعد: الطبقات الكبرى، 1/ 162.

(3) محمد أبوبكر: المثلث العفري في القرن الأفريقي، ص 47 – 48.

(4) الجبرتي، عبدالرحمن: عجائب الأثار في التراجم والأخبار، دار الجيل (بيروت، بدون تاريخ) 1/ 442.

يقول بن عباس (رضي الله عنه): «قدم على رسول الله أربعون رجلاً من الحبشة، فشهدوا معه غزوة أحد، فكانت فيهم جراحات ولم يقتل أحد» فلما رأوا ما بالمسلمين من الحاجة قالوا يا رسول الله: إنا أهل ميسرة فأذن لنا نجئ بأموالنا لنواسي بها إخواننا فأذن لهم، فجاءوا بأموالهم وواسوا بها فقراء الصحابة (رضوان الله عليهم) فنزل في حقّهم قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ(53) أُولَٰئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ(54) ﴾ [1]، وقد قام الرسول (ﷺ) بخدمتهم بنفسه، وعندما قال له أصحابه: نحن نكفيك يا رسول الله قال: «إنهم كانوا لأصحابي مكرمين، فأحب أن أكافئهم بنفسي»[2].

كذلك قال المفسرون في سبب نزول قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا سَمِعُواْ مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ (85) ﴾[3]، بأنّها نزلت في سبعين رجلاً بعثهم النجاشي إلى رسول الله (ﷺ) ليسمعوا كلامه ويروا صفاته، فلما رأوه وقرأ عليهم القرآن أسلموا وبكوا وخشعوا ثم رجعوا إلى النجاشي، فاخبروه بما شاهدوه، ويعتبر هذا أول تأثير مباشر لحركة الهجرة في نشر الإسلام [4].

وروت أم حبيبة بنت أبي سفيان (رضي الله عنها) عندما أخذت الدنانير لتعطيها للجارية التي بشرتها بخطبة – النبي (ﷺ) وطلبه من النجاشي أن يخطبها له، إلا أن الجارية والتي اسمها (أبرهة) ردّتها إليها وقالت: «قد أمرني الملك ألاّ أخذ منك شيئاً، وأن أرد إليك الذي أخذت منك، فرددته، وأنا صاحبة دهن الملك وثيابه، وقد صدّقت محمداً رسول الله وآمنت به، وحاجتي إليك أن تقرئيه السلام» وهذا يدل على انتشار الإسلام بين الحبش منذ الهجرة[5].

يقول محمد عثمان أبوبكر: «أن كلمة الحبشة في تلك العصور كانت تطلق على جميع

(1) سورة القصص، الآيات (53 – 54).

(2) ابن كثير: البداية والنهاية، 3/ 78.

(3) سورة المائدة، الآية (85).

(4) محمد أبوبكر، المرجع السابق، ص 46 – 47.

(5) ابن هشام، المصدر السابق، 1/ 255 ؛ كذلك، ابن الأثير، أبوالحسن علي بن أبي الكرم: أسد الغابة في معرفة الصحابة، دار المعرفة (بيروت، 1997م) 7/ 115 – 117.

مناطق القرن الأفريقي وكان دخول الإسلام إلى الحبشة سنة 614م أي في السنة الثانية قبل الهجرة، عندما هاجر الصحابة الكرام إليها بادئ ذي بدء، ووجدوا كل ترحيب وعطف من مملكة النجاشي أصحمة على مبادئ الإسلام السابقة، وتعاليمه السمحة، كما أن النجاشي نفسه من أوائل من هدي بنور الإسلام، واعتنقه، ولكنه مات قبل أن تمكنه الظروف من نشره وَجَعْلِه دين الدولة، وقد نعاه جبريل (عليه السلام) إلى الرسول (ﷺ) فصلى عليه صلاة الغائب»[1].

لقد انتشر الإسلام إذاً في الحبشة منذ عصر النبوة، وكانت الحبشة في ذلك الوقت تضم كل منطقة القرن الأفريقي، حيث أقام الصحابة ستة عشر عاماً، وهم يقيمون شعائر الإسلام، ويوطّدون تعاليمه السمحة بين سكان القرن الأفريقي والهضبة الحبشية، والسواحل الغربية للبحر الأحمر، التي يقطنها الساهو والعفريون [2].

ولم يكن أمام الرّقيق وسكان الصومال والحبشة الذين كانوا يتعرضون لغزوات النخاسين، إلا الارتماء في أحضان الإسلام الذي يمنع ذل الأسر، ويقيهم مهانة الرّق والعبودية [3].

ومنذ ذلك الوقت لم يزل الإسلام ينتشر في أرجائها ويتسع من نفسه دون أن يكون له مبشرون من المسلمين، سوى أفراد قلائل من تجار أو مزارعين أو أصحاب مذاهب سياسية محظورة في بلاد العرب، هاجروا إلى بلاد الحبشة، ويلاحظ أن استقرار المسلمين في هذه البلاد ارتبط بنوع الحرف التي احترفوها، أي أن كل فئة اختارت لنفسها المكان الملائم لمزاولة أنشطتها الاقتصادية أو الدينية أو السياسية [4]، فالتجار آثروا البقاء في الثغور البحرية ليتخذوا منها مقرّاً لإدارة شؤون تجارتهم، ومن احترف الرعي وتربية الحيوانات فقد آثر الاستقرار في هضبة أرتيريا، والمزارعون توغّلوا نحو الدواخل، حيث تزداد نسبة سقوط المطر [5].

(1) محمد أبوبكر، المرجع السابق، ص 37.

(2) المرجع نفسه، ص 47 – 48.

(3) عطية مخزوم، المرجع السابق، ص 120.

(4) رياض، زاهر:مظاهر العلاقات بين المسلمين والمسيحيين في الحبشة، جامعة القاهرة (القاهرة، 1375هـ/ 1955م) ص 154.

(5) المرجع نفسه، ص 154 – 155.

وسأحاول فيما يلي تتبع أهم الهجرات الإسلامية العربية وغير العربية لأفريقيا جنوب الصحراء، ودور هذه الهجرات في انتشار وتوطيد أركان الإسلام في هذه البلاد.

ثانياً: أهم الهجرات الإسلامية:

ليس من المعقول أن يمر العرب المسلمون بأرضٍ أفريقيا وخاصة الصومال عند هجرتهم إلى الحبشة في الذهاب والعودة، دون أن يعرف أحد من الصوماليين شيئاً عن الإسلام، مع أن المهاجرين لم يأتوا إلى هذه البقعة لتجارة أو سياسة، ولكن قدموا ومعهم دينهم الذي أُوذوا بسببه، وهو دين توحيد ومساواة، فلابد من أنهم تحدّثوا مع أهل هذه البلاد عندما مرّوا بها، عن هذا الدين، وبذلك يكونون قد عرفوا الإسلام منذ فجره الأول، ووصل إليها قبل أن يصل إلى المدينة المنورة بنحو ثمان سنين [1].

ثم استجدت على الساحة العربية جملة من الظروف الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، كان لها الدور الفعّال في تدفق المزيد من الهجرات العربية إلى البلاد الإفريقية، فبعد وفاة الرسول (ﷺ) برزت العديد من المنافسات والصراعات، من حروب الرّدة الطاحنة التي شهدتها بلاد العرب يقول ابن الأثير: «لما مات النبي (ﷺ) وسيّر أبوبكر جيش أسامة، ارتدت العرب.. وارتدت كل قبيلة عامّة أو خاصّة إلا قريشاً وثقيفاً»[2]، كذلك الفتنة الكبرى في عهد عثمان بن عفان (رضي الله عنه) (23-35هـ/ 644-656م) [3]، وما تلاها من موقعة الجمل سنة (36هـ/ 656م) وظهور الخوارج واضطهاد أهل البيت على أيام الدولة الأموية [4].

وعندما حلت سنة (132هـ/ 749م) جاء دور بني أمية فعصفت بركائز حكمهم الثورة العباسية التي مزّقت شملهم وشرّدتهم في الآفاق فتوغلوا إلى القارة الأفريقية، وأعطوا بذلك وجهاً جديد للهجرات الإسلامية لأفريقيا [5].

---

(1) عبدالرحمن النجار: الإسلام في الصومال، ص 53.

(2) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، 2/ 231.

(3) محمد المشري، المرجع السابق، ص 72.

(4) الطبري، المصدر السابق، 6/ 269 - 271.

(5) الحرير، عبدالمولى: الإسلام وأثره على التطورات السياسية والفكرية في أفريقيا جنوب الصحراء، مجلة البحوث التاريخية، العدد الثاني، مركز جهاد الليبيين (طرابلس، 1410هـ/ 1989م) ص106-107.

وما أن استقر الأمر للعباسيين حتى اتسعت الهوة بينهم وبين أنصارهم من العلويين، فقام العلويون بثورات متكررة ضد العباسيين، كما ثار الخوارج بفرقهم المتعددة المذاهب ضد النظام العباسي، وأشهرها ثورة الخوارج في الحجاز أيام المنصور[1] (م سنة:158هـ/ 774م)[2].

ثم إن اعتماد الدولة العباسية على الجند الخراساني، قلّل من اعتمادها على العرب، الذين فقدوا كثيراً من امتيازاتهم ووظائفهم تدريجيّاً، وما تَمّ في عهد الخليفة المعتصم (218-227هـ/ 833-842م) واعتماده على الجنود الأتراك، فلم يعجب العرب ذلك، فبدأت الهجرات الواسعة إلى أطراف الدولة الإسلامية، حيث تحرّك العرب بأعداد كبيرة صوب الجنوب، حيث أرض البجة والنوبة وحيث السودان الأوسط[3].

ولقد كان قرار الخليفة العباسي المعتصم (218-227هـ/ 833-842م) [4] بالكتاب إلى واليه بمصر، يأمره بأن يسقط من في ديوان مصر من العرب، وقطع العطاء عنهم – ففعل ذلك – نقطة تحوّل خطيرة في تاريخ العرب في مصر وهجرتهم إلى الجنوب، فصهرت تلك المناطق بالعنصر العربي، ومن هنا كان قرار المعتصم بتجنيد الترك السبب المباشر الذي شجّع الهجرة العربية الواسعة إلى السودان، لأنه كلّما زادت هيمنة الأتراك على الحكومة والجيش في مصر اضطر العرب إلى الهجرة جنوباً نحو السودان ولقد كان أسلوب العنف والشدّة الذي أظهره الولاة الأتراك وسجن الزعماء وفرض الغرامات من الأسباب الجوهرية التي دفعت بالأعداد الكبيرة بالإنسياب نحو الجنوب والغرب، مبتعدين عن هذا الجو المعادي للعروبة وهم أبناء الصحراء الذين اعتادوا على جو التنقل والتّرحال، وبذلك شهد القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي، هجرات عربية إسلامية واسعة للسودان، ومن ثم التوغل في السهول الواسعة جنوباً وشرقا[5].

(1) عبدالمولى الحرير، المرجع السابق، ص 107.

(2) المسعودي: مروج الذهب، 3/ 328.

(3) الغنيمي، عبدالفتاح مقلد: الإسلام والعروبة في السودان، العربي للنشر والتوزيع (القاهرة، 1406هـ/ 1986م) ص 55.

(4) العبادي، أحمد مختار: في التاريخ العباسي والأندلسي، دار النهضة العربية (بيروت، 1972م) ص 116.

(5) عبدالفتاح الغنيمي، المرجع السابق، ص 55 – 56.

ثم ما كان من انقسام المسلمين إلى شيع وفرق، مما اضطر بعض هذه الجماعات العربية والفارسية إلى الفرار من مواطنهم إلى أفريقيا بعيداً عن متناول أعدائهم ومنافسيهم، وما كان من انقسام العالم الإسلامي إلى سنة وشيعة، وما تبع ذلك من قلاقل ومنازعات خاصة في الجزء الغربي من آسيا، أدّى إلى هجرة العديد من المسلمين إلى أوطان بعيدة عن مسرح الأحداث، بحثاً عن الأمن والسلام، وكان من أبرز تلك الأوطان ساحل شرق أفريقيا، لسهولة الوصول إليه، ولما كان عليه من ثروات ومحاصيل أغرت الوافدين عليه [1].

إن كل هذه الثورات المتواترة كانت مورداً لا ينضب معينه من المهاجرين المسلمين الفارّين بأرواحهم إلى أفريقيا، ومما ساعد على انتشار الإسلام وتقبّله هناك ظهور مصر الإسلامية المجاورة لهم [2].

ثم أصبح نشر الدين الإسلامي من أسباب استقرار العرب في شرق أفريقيا، وإقامتهم كيانات سياسية عربية بعد أن ازدادت هجرة العرب إليها في عهد الدولتين الأموية والعباسية، وفي إثر المنازعات الدينية والسياسية [3].

لقد كوّن هؤلاء المهاجرون العديد من المراكز والإمارات والمدن وعملت على اندماج العرب مع الأفارقة، كما عملت على انتشار الإسلام والفكر الإسلامي في البلاد الأفريقية، ويلاحظ أن هذه الهجرات الإسلامية تهاجر أولاً إلى السواحل الأفريقية حيث تستقر فترة من الزمن، فإذا طاب لها المقام استقرت، أو تتجه بعد ذلك إلى دواخل القارة الأفريقية [4]

وأقام المهاجرون ممالك إسلامية كانت على علاقة حسنة مع الممالك الحبشية، وربطتهم بسكان المنطقة علائق المصاهرة، وبمرور الزمن خرج جيل جديد من المسلمين كان نتاجاً لهذه العلاقات الاجتماعية المتأثرة بالروح الإسلامية، ولما اشتد ساعد الهجرات الإسلامية وتوطّدت علاقاتهم بحكام الولايات الحبشية، تمت سيطرتهم على التجارة، التي هي عصب

(1) محمود الحويري: ساحل شرق أفريقية، ص 19.

(2) عبدالمولى الحرير، المرجع السابق، ص 107.

(3) محمد عريبي: مظاهر علاقة العرب بأفريقيا الشرقية، ص 66.

(4) محمد المشري، المرجع السابق، ص 71 – 72.

الحياة السياسية، وأخذوا شيئاً فشيئاً يقيمون لأنفسهم أثراً سياسياً تمثّل فيما بعد، في إقامة ممالك إسلامية في أفريقيا [1].

ومهما يكن الأمر فبعد دخول الإسلام إلى الشمال الأفريقي وتعاقب هجرات القبائل والجماعات الإسلامية إلى أفريقيا، أظهر هؤلاء المهاجرون خصائص فريدة في التأثير على المجاميع التي سكنت معها، وبرز عدد من القادة المسلمين كان لهم الدور الكبير في نشر الإسلام في أفريقيا جنوب الصحراء، فأسهموا في ترسيخ أسس العقيدة الإسلامية، حتى بدأ مواطنون أفارقة يدعون إلى الإسلام بين مواطنيهم في حركة سلمية [2].

وسأركز في دراستي التالية على أهم هذه الهجرات الإسلامية التي كان لها الدور الفعال في انتشار الإسلام بين الأفارقة ووصوله إلى أن أصبح الدين الرسمي لبعض المناطق الأفريقية وأهم هذه الهجرات وأولها هي:

1- هجرة بني مخزوم:

أراد الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) نشر الدعوة الإسلامية في الحبشة، فوجّه إليها سرية من المسلمين في عام 20هـ/ 641م برئاسة علقمة بن محرز المدلجي، ولكن الحملة لم توفق ونالها الأذى وعاد من بقي منها [3].

وأما أول هجرة للمسلمين إلى أفريقيا وخاصة شرقها بعد هجرة صحابة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) هي هجرة بني مخزوم، حيث كان أول مسلم سمع عنه مهاجراً، واستقر في بلاد الحبشة هو ودّ بن هشام المخزومي، وكان ذلك في خلافة سيدنا عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) حيث خرج مهاجراً من الحجاز مع قبيلته [4].

---

(1) عبدالمولى الحرير، المرجع السابق، ص 107.

(2) ظاهر محمد: التواصل العربي الأفريقي، ص 33.

(3) زكي، عبدالرحمن: الإسلام والمسلمون في شرق أفريقيا، مطبعة يوسف (القاهرة، 1385هـ/ 1965م) ص 38.

(4) محمد يونس: تاريخ التطور السياسي للعلاقات العربية الأفريقية، ص 21.

وليس سبب هجرتهم ما ذكره ترمنجهام، من أنها إثر عزل عمر (رضي الله عنه) لخالد بن الوليد المخزومي من قيادة جيوش المسلمين بالشام [1]، لأن هذا العزل كانت له دوافعه وليس منها عقاب بني مخزوم عقاباً يدفع بعضهم إلى الهجرة من بلاد الإسلام، واللجوء إلى أرض غير إسلامية، لقد كانت لهذا المهاجر المخزومي دوافعه التي دفعته إلى الهجرة من بلاد الحجاز إلى بلاد الحبشة، ومنذ أن خرج يدعو إلى الإسلام ويعمل بالتجارة في هذه البلاد، التي كان العرب يعرفونها قبل ظهور الإسلام [2].

ويُذكر أنه كانت لبني مخزوم في القرن السادس الميلادي علاقات تجارية مع اليمن والحبشة، وفي الحبشة كان تجار بني مخزوم في مقدمة تجار مكة، وقد أسس بنو مخزوم السلطنة المخزومية في شرق مقاطعة شوا وهي أقدم مملكة إسلامية قامت بالحبشة سنة (283هـ/ 896م) في منطقة من أمتع المعاقل فوق مرتفعات الهضبة الحبشية، حيث تقع مدينة أديس أبابا الحالية [3].

واسم شوا يطلق من قديم على جزء من الهضبة الوسطى للحبشة يقع في جنوب جبال دورسال الذي يطلق عليه الآن اسم تارمابار، ونظراً لخصوبة هذه البقعة واعتدال مناخها، وتوفّر وسائل المعيشة بها أصبحت مهيأة لقيام هذه السلطنة الإسلامية التي قامت في هذا الجزء من الهضبة الحبشية، واتخذت من مدينة تسمى (ولله) عاصمة لها [4].

ولم تتعرض أسرة الأجوبيين في أكسوم لهؤلاء المهاجرين بسوء نظراً لضعفها في معظم فترات تاريخها، ومن ثم تمتع هؤلاء المهاجرون بحياة الاستقرار، وقامت بينهم وبين الأهالي علاقات الود والصداقة، لأن هؤلاء المهاجرين لم يطمعوا في شيء مما في أيديهم، ووجد الأهالي فيهم ما يساعدهم على صد غزوات تجار الرقيق، فازداد التقارب والاندماج بين

(1) ترمنجهام، سبنسر: الإسلام في شرق أفريقيا، ترجمة وتعليق: محمد عاطف النووي، مكتبة الأنجلو المصرية (القاهرة، 1393هـ/ 1973م) ط1، ص 58.

(2) عبدالحليم، رجب محمد: العروبة والإسلام في أفريقيا الشرقية، منذ ظهور الإسلام إلى قدوم البرتغاليين، دار النهضة العربية (القاهرة، 1419هـ/ 1999م) ص 62.

(3) النقيرة، محمد عبدالله: انتشار الإسلام في شرق أفريقيا ومناهضة الغرب له، دار المريخ (الرياض، 1403هـ/ 1982م) ص 65.

(4) رجب عبدالحليم، المرجع السابق، ص 61 – 62.

الفريقين، ومن ثم أخذ عدد المسلمين يكثر طوراً بالمهاجرين الذين يتوالون على القدوم إليهم، وطوراً بالأحباش الذين ارتبطوا معهم برباط المصاهرة، ووجدوا في اعتناق الإسلام حماية لهم، وجاء نتاج هذه المصاهرة جيل إسلامي جديد أخذ يكثر بتوالي الزمن، وينضم إليه من يعتنق الإسلام عن رضا واقتناع لما يبيحه لهم هذا الدين من الاحتفاظ ببعض عاداتهم الاجتماعية مثل تعدد الزوجات على سبيل المثال، ومن ثم تكاثرت أعداد المسلمين بطريقة كبيرة، هيأت الفرصة لقيام سلطنة إسلامية على يد أسرة عربية [1].

ومن نتاج عرب الشوا أو بني مخزوم الذين انتقلوا إلى منطقة بحيرة تشاد شرق برنو ومصاهرتهم الوطنيين الزنوج نتج شعب البولالا الذين أنشأوا سلطنة البولالا الإسلامية فيما بعد في وسط أفريقيا [2].

لقد اشتغل هؤلاء المهاجرون بالتجارة، حتى أصبحوا أثرياء القوم وأغنياءهم الكبار، ولما ارتفع شأنهم وارتفع قدرهم صاهروا أمراء شوا، ومن ثم انتقل الحكم إليهم وكوّنوا أسرة حاكمة كانت أولى الأسر العربية التي أنشأت دولة إسلامية في أفريقيا استمرت في الوجود أربعة قرون، تمتّعت معظمها بالأمن والاستقرار، وازدهار العمران وكثرة المدن والقرى [3].

ولعبت زوجات السلاطين في هذه المملكة دوراً مهماً في مجريات أمورها وتصريف شؤونها، حتى إنّهن لم يكنّ محرومات من حق اعتلاء العرش، وكان في هذه المملكة حياة علمية ودينية مزدهرة وبُنيت المساجد والمدارس ووجد بها العلماء والفقهاء وطلاب العلم، حيث عاشت عصراً زاهراً كبيراً، ومستقلة عن جيرانها سواء أكانوا مسلمين أم مسيحيين [4].

وقد نشر المستشرق الإيطالي (أزيكو تشيرولي) وثيقة تاريخية عن تاريخ إمارة بني مخزوم، تتحدث عن سلطنة بني مخزوم في أواخر أيامها، وقد فرّقتها الفتن الداخلية وأنهكتها الحروب

(1) رجب عبدالحليم، المرجع السابق، ص 61 – 62.

(2) عبدالفتاح الغنيمي: الإسلام وحضارته في وسط أفريقيا سلطنة البولالا، مكتبة مدبولي (القاهرة، 1417هـ/ 1996م) ط1، ص 19.

(3) محمد النقيرة، المرجع السابق، ص 197.

(4) رجب عبدالحليم، المرجع السابق، ص 67 – 68.

مع إمارة أوفات الإسلامية المجاورة لها، والتي تحالفت ضدها مع ملك أمحرة (أيكونوا أملاك) وقضى عليها الأحباش في عام (705هـ/ 1402م) [1].

2- هجرات عربية من بلاد الشام:

قامت هذه الهجرة في الفترة ما بين (76-85هـ/ 695-704م)، وهي تمثل فريقاً من أهل الشام لم يرضوا عن سياسة بني أمية وبعض عمالهم مثل الحجاج بن يوسف الثقفي، فتركوا بلاد الشام، ورحلوا جنوباً حتى وصلوا إلى ساحل شرق أفريقيا، ويبدوا أن أعدادهم كانت كبيرة لأنهم استطاعوا إخضاع السكان الأصليين، واقتحام ميناء ديوني الحصين، وكانت به جالية تزيد عن عشرة آلاف [2].

ويشير شيبو فرج بن أحمد الباقري في كتابه (أخبار لامو) أن هؤلاء المهاجرين انتشروا في أكثر من مكان على الساحل الشرقي لأفريقيا، وأنهم نزلوا أيضاً في بات ومالندي وزنجبار ومنبسة وكلوة [3].

3- هجرة آل الجلندي:

تمتع آل الجلندي باستقلال كبير في عمان في بداية العصر الأموي وكانوا يسيّرون أمورها دون الرجوع إلى الخلافة الأموية في دمشق، مع أن عمان كانت تابعة لأمير العراق، ولما اضطربت أحوال الدولة الأموية بعد وفاة يزيد وقويت شوكة الخوارج في شرقي شبه الجزيرة العربية، وسيطر نجدة بن عامر الحنفي من الخوارج على البحرين، أرسل ابن عامر جيشاً إلى عمان بقيادة عطية بن الأسود الحنفي، وكان يحكم عمان في تلك الفترة عباد بن عبدالله بن الجلندي من قبيلة الأزد العمانية، ويعاونه ابناه سعيد وسليمان، فقتل عباد واستولى الخوارج على عمان الذين كانوا من أقوى وأعنف خصوم الأمويين، واختار الخوارج عمان لطبيعتها الجبلية وامتداد الصحاري الجرداء في غربها، مما يجعلها ملجأ حصيناً يلودون به في حالة الخطر [4].

(1) محمد المشري، المرجع السابق، ص 73.

(2) رجب عبدالحليم، المرجع السابق، ص 51 - 50.

(3) محمد النقيرة، المرجع السابق، ص 84.

(4) محمود الحويري، المرجع السابق، ص 20 21.

لم يؤيد أهل عمان الخوارج، وأيّدوا آل الجلندي، واستغلوا الفرصة حين عودة عطية إلى البحرين، بعد أن أمضى بضعة أشهُر في عمان، وانقضوا بمساعدة سعيد وسليمان على أبي القاسم نائب عطية في عمان وقتلوه وبذلك عادت عمان لآل الجلندي [1].

ثم اهتم الأمويون باستعادة سيطرتهم على عمان، ولكن سعيد وسليمان كانا يقومان بطرد الولاة أو بقتلهم الذين كانت ترسلهم الخلافة الأموية إلى عمان [2]، وعند ذلك أرسل والي العراق الحجاج بن يوسف الثقفي في عهد عبدالملك بن مروان (65-85هـ/ 685-705م) قوة بحرية وبرية كبيرة اشتبكت في معارك مع أهل عمان واستطاعت إلحاق الهزيمة بهم والقضاء على نفوذ آل الجلندي، ومما ساعد على هزيمة أهل عمان، السياسة القبلية التي اتبعها عبدالملك بن مروان، حيث استعان ببعض القبائل على البعض الآخر، فاستعان بقبائل نزار ضد قبيلة الأزد العمانية [3].

وعند ذلك حمل سعيد وسليمان ابنا الجلندي ذراريهما وسوداهما وخرج معهما من أتباعهما وقومهما، فلحقا بأرض الزنج، أي إلى ساحل شرق أفريقيا[4]، حيث وصلوا ومن معهما من رجال وجند وأهالي إلى جزر (أرخبيل لامو) التي تقع في دولة كينيا الآن وذلك في الفترة من (75-85هـ/ 694-704م) واستقروا هناك[5]، ووجدوا بها عدد من المستقرّين العرب، كما وجدوا الأرض خصبة والطبيعة جميلة، فاستقروا هناك وعملوا بالتجارة في الحديد والذهب والعاج المجلوب من داخل القارة، ونتج عن ذلك انتشار الإسلام في أرخبيل لامو، ومما شجع ذلك أيضاً زواج العرب من النساء الأفريقيات، لأن المهاجرين العرب لم يكن معهم إلاّ عدد قليل من النسوة العربيات، وأصبحت هذه الإمارة مقصداً لأهل عمان، وقام هؤلاء المهاجرون بإنشاء إمارة إسلامية هناك، وأنشئوا المدارس والكتاتيب لتحفيظ القرآن الكريم،

(1) ابن الأثير، المصدر السابق، 4/ 202 - 203.

(2) الطبري، المصدر السابق، 5/ 217.

(3) ابن الأثير، المصدر السابق، 4/ 205.

(4) محمد المشري، المرجع السابق، ص 76 – 77.

(5) رجب عبدالحليم: المسلمون في أفريقيا جنوب الصحراء، موسوعة سفير للتاريخ الإسلامي (القاهرة، بدون تاريخ) ص 15 – 16.

وتعليم أصول الدين والشريعة واللغة العربية للأهالي الذين أسلموا، وكان لهم الفضل في نشر الإسلام بين الأهالي الموجودين في تلك المنطقة [1].

4- هجرة الشيعة الزيدية:

بعد موقعة كربلاء سنة (61هـ/ 680م) والتي قتل فيها سيدنا الحسين بن علي بن أبي طالب (رضى الله عنهما) [2] تعدّدت ثورات آل البيت ضد الأمويين الذين كانوا يقابلونها بالشدّة والبطش [3]، وكانت آخرها الثورة التي قام بها الزيدية، وهم أتباع الإمام زيد بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) ضد الخليفة الأموي هشام بن عبدالملك سنة 121هـ/ 739م الذي خرج من الحجاز إلى الكوفة بالعراق حيث طلب منه شيعته مساعدتهم، وكان زيد وأتباعه يرون الظهور والخروج على الخليفة الأموي بالسيف لأخذ حقّهم بالإمامة وعلى إثر ذلك حدث الصدام بين زيد وأتباعه وبين هشام بن عبدالملك الذي أمر واليه على العراق بالتصدّي لهم [4].

واستطاع الأمويون القضاء على ثورة الزيديين وقتل قائدهم وأمامهم زيد في عام (122هـ/ 740م) بعد أن تخلّى عنه معظم أهل الكوفة، وفرّ أتباعه بعد مقتله، ولقى الزيدية الاضطهاد على أيدي الأمويين بعد انكسارهم في واقعة الكوفة [5].

ونتيجة للاضطهاد الذي تعرّض له الزيدية هاجرت جماعة منهم قاصدة شواطئ أفريقيا الشرقية حيث استقروا على ساحل بنادر بالقرب من موقع مقديشو عند سنجايا [6].

(1) رجب عبدالحليم: العروبة والإسلام، ص 51.

(2) الطبري، المصدر السابق، 7/ 160.

(3) محمد المشري، المرجع السابق، ص 77.

(4) رجب عبدالحليم: العروبة والإسلام، ص 51 – 52.

(5) أرنولد، توماس: الدعوة إلى الإسلام، ترجمة: حسن إبراهيم حسن، عبدالمجيد عابدين، إسماعيل النحراوي، مكتبة النهضة المصرية (القاهرة، 1390هـ/ 1970م) ص 375.

(6) محمد عريبي: مظاهر علاقة العرب بأفريقيا الشرقية، ص 65.

ثم وسّع الزيديون رقعة أرضهم بفضل ما كان يتوالى عليهم من هجرات الزيديين الأخرى من شبه الجزيرة العربية [1]، واستطاعوا السيطرة على منافذ البحر الأحمر التجارية، واستقطبوا الفارّين من بني أمية، فقوي أمرهم واشتد ساعدهم وتحكّموا في حركة التجارة، وازداد اتساع الإسلام بفضل دعوتهم وتبشيرهم ونفوذهم الاقتصادي والتجاري، ليس في الحبشة فحسب بل في الطرف الشرقي من القارة الأفريقية [2].

وظلّ الزيديون مسيطرون على هذه المنطقة مدّة تقرب من 200 سنة حتى اضطرتهم هجرات عربية من قبيلة الحارث إلى النزوح إلى الداخل، لأن الزيديين رفضوا الخضوع للمهاجرين الجدد السنّيين لأنّهم شيعة [3]، فاستقروا حول أودية نهري جوبا والويبي شبيلي، واختلطوا بالأهالي وتزوجوا منهم مما أدى إلى نشر الإسلام بينهم، وعُرفوا باسم أموزيديج التي تعني أمّة زيدية [4].

5- الهجرات الأموية والعلوية:

ما كاد البيت الأموي ينتهي من ثورة الشيعة حتى قامت ثورة عارمة في الحجاز، وقد قابل الأمويون هذه الثورات بالعنف والقسوة إذ أرسل يزيد قائده مسلمة بن عقبة ففعل في أهل المدينة، ما لم يتوقع ثم ثار الحجاز ثانية مؤيّداً لعبدالله بن الزبير الذي استمر تسع سنوات في ثورته واتسع نطاقها فشملت الحجاز والكوفة والبصرة وخراسان، غير أن الحجاج بن يوسف تمكّن من هذه الثورة بكل عنف وحصار شديد لمكة سنة 73هـ وكان لكل هذه القلاقل السياسية أثرها في دعم الهجرات إلى أفريقيا [5].

ثم قامت الثورة العباسية سنة 132هـ، التي عصفت بركائز حكم الأمويين ومزّقت شملهم وشرّدتهم ففرّ كثير منهم ومن أنصارهم إلى شمال أفريقيا وشرقها [6].

(1) توماس أرنولد، المرجع السابق، ص 378.

(2) عبدالمولى الحرير، المرجع السابق، ص 106.

(3) عبدالرحمن النجار: الإسلام في الصومال، ص 61.

(4) رجب عبد الحليم: العروبة والإسلام، ص 52.

(5) عبدالمولى الحرير، المرجع السابق، ص 105.

(6) الخويلدي، محمد علي عمر:التأثير الحضاري العربي الإسلامي في شرق أفريقيا(424-626هـ/ 1124-1258م) رسالة ماجستير غير منشورة نوقشت في معهد التاريخ العربي (بغداد: بتاريخ 1423هـ/ 2003م) ص 44.

وكان ممن هاجر إلى أفريقيا عمر بن سليمان بن عبدالملك بن مروان وكان معه خدمه ومواليه ولحق به أنصاره ومعاونوه، حيث فرّ منسحباً أمام جيوش العباسيين والشيعة، واستقر في النوبة مع أعوانه، ثم توغلوا في القارة بأعالي النيل ومصوّع وشرق أفريقيا [1].

وكذلك كان مع آخر خلفاء الأمويين مروان بن محمد (132هـ/ 749م) حين قتل، ابناه عبدالله وعبيدالله، وكانا وليي عهد فهربا فيمن تبعهما من أهلهما ومواليهما وخواصهما من العرب ومن انحاز إليهم من أهل خراسان من شيعة بني أمية فساروا إلى أسوان من صعيد مصر وساروا على شاطئ النيل إلى أن دخلوا أرض النوبة وغيرهم من الأحباش، ثم توسطوا أرض البجة ميممين باضع من ساحل بحر القلزم [2].

ويشير محمد المشري إلى أن اصل الفونج مؤسسي السلطنة السنارية هم من بني أمية هربوا بعد أن استولى العباسيون على السلطة في بغداد، وقيل أنّهم نزحوا إلى الحبشة في البداية ثم تبعهم العباسيون وخاطبوا في شأنهم حاكم الحبشة، فاضطر الأحباش للتخلّص منهم إلى المناطق المتاخمة [3].

وعندما استطاع العباسيون القضاء على بني أمية، بدأوا بقمع المعارضة العلوية والخوارج[4]، فما أن استقر الأمر للعباسيين حتى اتسعت الهوة بينهم وبين أنصارهم من العلويين، فقام العلويون بثورات متكرّرة ضد العباسيين كما ثار الخوارج بفرقهم المتعددة المذاهب ضد النظام العباسي، وأشهرها ثورة الخوارج في الحجاز على أيام المنصور العباسي (م:سنة 158هـ/ 774م)، وقد وَجَد هؤلاء ملاذاً لهم في سواحل شرق أفريقيا عن طريق المحيط الهندي والبحر الأحمر [5].

(1) عبدالمولى الحرير، المرجع السابق، ص 105 – 106.

(2) المسعودي: التنبيه والإشراف، مكتبة خياط (بيروت، 1385هـ/ 1965م) ص 329 – 330.

(3) محمد المشري، المرجع السابق، ص 81 – 82.

(4) محمد الخويلدي، المرجع السابق، ص 44.

(5) عبدالرحمن زكي: الإسلام والحضارة العربية في شرق أفريقيا، المجلة التاريخية المصرية، العدد 21 (القاهرة، 1394هـ/ 1974م) ص 36.

6- هجرة القبائل العربية خاصة من ربيعة وجهينة وبطونهما:

منذ القرن التاسع الميلادي تدفقت هجرات عربية نحو سودان وادي النيل وبلاد البجة وأريتريا والحبشة خاصة من مصر، ولم يكن سبب هجرة هذه القبائل العربية بحثاً عن الثراء والتجارة أو المراعي الخضراء، وإنّما هروباً من ضغط الأمراء والخلافة العباسية في مصر، حيث كان من الأسباب الرئيسة ما قام به الخليفة المعتصم (218-228هـ/ 833-842م) من إسقاط أسماء العرب من ديوان العطاء بمصر، وقطع الرواتب عنهم وتشجيع سياسة الاعتماد على الجند الترك [1].

ومما زاد في أوضاع العرب في مصر سوءًا عزل الوالي عنبسة بن إسحاق، الذي كان آخر الولاة العرب في مصر، وحدث ذلك في عهد المتوكل (233-247هـ/ 847-861م) وتذكر كتب التاريخ العديد من البطون والقبائل العربية التي هاجرت إلى مصر وكان من أهمها: بلي وجهينة وهمذان وكندة ولخم والأزد وجذام وخولان وتنوخ ومذحج قريش وبطونها وبني أمية وفزاره وبني هلال وبني سليم وهوازن وربيعة [2].

ومن أكبر هذه القبائل جهينة وهي (جهينة بن زيد بن ليث ابن أسود بن أسلم بن الحاف بن فضاعة) وهي قبيلة كبيرة وبها بطون كثيرة [3]، وتدّعي جهينة أنهم جاءوا من اليمن إلى مصر ثم انتقلوا إلى حوض وادي النيل الأوسط في أوائِل القرن الثامن الميلادي، وشقّوا طريقهم نحو كردفان ومن ثم إلى حوض شاري، وأهم بطونها: السلامات وخزام، وأولاد راشد، والمسيرية، والمحاميدة الدكاكير، وقد ساعد السلامات بكثرة عددهم، ملوك البرنو في حروبهم ضد الصوكما وعاونوا على تكوين دولة البولالا الإسلامية في وسط أفريقيا، ومنهم قبيلة مساونة وهم كثيرو العدد في واداي [4].

ودفعت شهرة وادي العلاقي الذي يقع في الصحراء الشرقية بين أسوان والبحر الأحمر،

(1) محمد المشري، المرجع السابق، ص 89.

(2) المرجع نفسه، ص 88 - 89.

(3) عبدالفتاح الغنيمي: الإسلام والعروبة في السودان، ص 218.

(4) عبدالفتاح الغنيمي: حركة المد الإسلامي في غرب أفريقيا، مكتبة نهضة الشرق (القاهرة، بدون تاريخ) ص 22.

بالذهب والزمرد، إلى جذب جماعات كبيرة من ربيعة وجهينة منذ عام (238هـ/ 852م) إلى هذه المنطقة حيث استقروا هناك وتزاوجوا مع البجة، وأقاموا إمارة عربية مدّت نفوذها إلى أسوان، وشمال بلاد النوبة، حيث صاهروا حكام (مملكة مَقُرة) ونتج عن ذلك انتقال الحكم إلى هؤلاء العرب الذين عرفوا باسم بني كنز نسبة إلى لقب كان قد أطلقه أحد الخلفاء الفاطميين في مصر على أحد أمرائهم نظير مساعدته لهذا الخليفة في القضاء على أحد الثائرين والخارجين عليه في صعيد مصر [1].

وتطوّرت أحوال بني كنز في بلاد النوبة واتخذوا من دنقلة عاصمة لهم منذ عام 723هـ/ 1323م، وبقيام هذه الدولة انفتح باب الهجرة العربية على مصراعيه فهاجرت قبائل عربية كبيرة إلى وسط السودان، وأقاموا بين نهري النيل الأبيض والأزرق، وتحالفوا مع قبائل سودانية تسمّى الغونج، واستطاعوا أن ينشئوا دولة إسلامية أخرى هي دولة الفونج التي كانت عاصمتها سنار وذلك عام (911هـ/ 1505م) [2]، وكان العبدلاب، هم عرب من شعبة القواسمة الرفاعية، العضد الأكبر لهذه السلطنة الإسلامية في الإقليم الشمالي، وأمراء العبدلاب لم يكونوا مجرّد زعامة للشعبة الشمالية من رفاعة أو حتى القواسمة، بل كانوا حكام أقاليم لهم السلطة التامة على جميع القبائل التي تعيش في الشطر الشمالي من سلطنة سنار [3].

كذلك كان هناك فرعٌ كبيرٌ من قبيلة رفاعة الجهنية قد لعب دوراً كبيراً في الإطاحة بمملكة سوبا (علوة) المسيحية في القرن السادس عشر الميلادي[4].

ويمكن القول: إن القبائل العربية التي كانت تهاجر إلى مصر تنحدر نحو صعيد مصر متجهة نحو أسوان، لأن أسوان وبلاد النوبة وشمال السودان تشبه إلى حد كبير بلاد العرب في ظروفها المناخية، بعكس بيئة مصر التي لا تلائم طبيعة البدو، ولا يبعد أن تكون بعض البطون العربية التي هاجرت إلى مصر أثناء القرنين الأول والثاني للهجرة، قد استهوتها

(1) رجب عبدالحليم: المسلمون في أفريقيا، ص 14.

(2) المرجع نفسه، ص 14 – 15.

(3) عبدالفتاح الغنيمي: الإسلام والعروبة في السودان، ص 220.

(4) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

المناطق الجنوبية في أطراف الصعيد ونفذت إلى القسم الشمالي من بلاد النوبة، وبدأ العنصر العربي يظهر في بلاد النوبة منذ القرن الثالث الهجري [1].

7- هجرة الأخوة السبعة:

من أهم الهجرات العربية التي وفدت على ساحل شرق أفريقيا هجرة الأخوة السبعة من قبيلة الحارث العربية في منطقة الأحساء على ساحل الخليج العربي، وسبب هذه الهجرة، الصراع الذي نشب واشتد بين الخلافة العباسية وبين القرامطة حكام البحرين ومنطقة الإحساء منذ أواخر القرن الثالث للهجرة/ التاسع للميلاد، وكان بنو الحارث مؤيدين للخلافة العباسية وموالين لها لأنّهم سنّة، بينما كان القرامطة شيعة، ولذلك اضطهدوا بني الحارث وأجبروهم على النزوح من بلادهم [2].

فخرج إخوة سبعة من قبيلة الحارث ومعهم عشيرتهم، وصحبهم الكثير من سكّان الشاطئ الغربي للخليج العربي في ثلاث سفن، سنة 273هـ/ 887م هاربين من اضطهاد ملك الأحساء لهم، ونزلوا في الساحل الشرقي عند شاطئ بنادر، وامتد نفوذهم حتى جنوبي ممبسة وتحالفوا مع الصوماليين أصحاب البلاد الأصليين [3]، وشيّدوا مدينتي مقديشو وبراوة [4]، وكانت مقديشو أول مدينة عربية تأسست في الساحل الشرقي ثم تلتها براوة [5].

ولم يستطع الزيدية الذين نزلوا على ساحل بنادر قبل هجرة الإخوة السبعة، التأقلم والانسجام مع بني الحارث لأنهم سنّيو المذهب، بينما هم شيعة، وبذلك فضّلوا الانسحاب إلى الداخل، حيث اختلطوا بالسكان الأصليين وكوّنوا علاقات قوية معهم، وتكونت أمة خليطه من العرب والزنوج عرفت بالأموزيديج [6].

---

(1) محمد المشري، المرجع السابق، ص 88 – 89.

(2) رجب عبدالحليم: العروبة والإسلام، ص 52 – 53.

(3) علي الشطشاط، المرجع السابق، ص 425.

(4) المسعودي: مروج الذهب، 1/ 98.

(5) محمد عريبي: مظاهر علاقة العرب بأفريقيا الشرقية، ص 65.

(6) محمد المشري: بلاد القرن الأفريقي، ص 80.

وأسس بنو الحارث سلطنة إسلامية هي (سلطنة مقديشو) واتخذوا من مقدشو عاصمة لساحل بنادر، ونشطت تجارتهم حتى وصلت إلى مدينة سوفالة جنوب نهر موزمبيق، وبذلك ظهر إلى الوجود مركز إسلامي كبير، وأصبحت العاصمة الدينية والثقافية لساحل الزنج كله وسيدة على كل عرب هذا الساحل، وكان لذلك أثره الكبير والقوي في نشر الإسلام بين الصوماليين وسكان شرق أفريقيا كله [1].

ومن الواضح أن جماعة الأحساء هم الذين نشروا الإسلام على ساحل صوماليا الشرقي، والدليل على ذلك أن المذهب السائد في هذه المنطقة إلى اليوم هو مذهب أهل السنة والجماعة [2].

8- الهجرة الشيرازية والنبهانية:

كان على رأس هذه الهجرة علي بن حسن بن علي الشيرازي، وهو أحد الأبناء السبعة لسلطان شيراز في بلاد فارس (جنوب إيران)، ولكن أمه كانت حبشية فجفاه إخوته، لذلك قرر أن ينتقل إلى أرض السود [3]، فركبوا في سبعة سفن، وفي أثناء إبحارهم حول الساحل الشرقي لأفريقيا، توقفت بعض السفن في مناطق صغيرة مثل ممباسا وزنجبار، أمّا الإبن الأكبر لعلي وهو الحسن، فقد ظل يبحر حتى وصل إلى كيلوا فأعجبته، فقّرر هو ورجاله الاستيطان بها وقابل مسلماً يدعى منيري وأباري، فأبلغه أنه يرغب في شراء الجزيرة. فاتصل منيري برئيس القبيلة، الذي وافق على بيعها مقابل أطوال من القماش تكفي لإقامة سور حولها، فأعطاه الحسن بن علي ما طلب، وبدأ استيطانه فوق الجزيرة التي أطلق عليها اسم (كيلوا كيسيواي) وكانت هي النواة لمدينة كلوة المزدهرة [4].

وشهدت كلوة ازدهاراً ورخاءً، خاصة بعد أن أطاحت بسيطرة مقديشو في سفالة، إذ

(1) رجب عبدالحليم: المسلمون في أفريقيا، ص 16.

(2) عبدالرحمن النجار: الإسلام في الصومال، ص 61.

(3) عبدالرحمن زكي: المسلمون في العالم اليوم، مكتبة النهضة المصرية (القاهرة، 1378هـ/ 1958م) ص 10 – 11.

(4) سبنسر ترمنجهام، المرجع السابق، ص 10 – 11 ؛ كذلك، توماس أرنولد، المرجع السابق، ص 379.

كانت مقديشو تحصل على الذهب من سفالة [1]، ولم تكن كلوة أقوى دول الساحل فقط، بل إنّها كانت أوفرها حضارة، لذلك أثرت كثيراً على تجارتها، ولما كان مؤسسو كلوة الأوائل من الشيرازيين فلا غرو أن يكون لهم تأثير كبير على أسلوب الحضارة التي ازدهرت هناك خلال القرون العاشر والحادي عشر والثاني عشر للميلاد، وكانت حضارة ذات مظاهر فارسية قديمة [2].

وأصبح الحسن بن علي الشيرازي، صديقاً لأهالي الجزيرة المحليين وتزوج من ابنة منيري، وخلفه ابنه بعد وفاته كسلطان على الجزيرة، وبعد ذلك هاجم جزيرة مافيا المجاورة، وحكمها دون أن يشتريها كما فعل والده عندما اشترى كلوة، ولقد استعمل أهالي المدينة ثروتهم في ترقيتها والارتفاع بها، وبمرور الوقت أصبح لكلوة سيادة على مدن الساحل [3].

وفي منتصف القرن الخامس الهجري، وصلت هجرة أخرى استقرّت إلى الجنوب منها، ويرجع سببها إلى الهجوم الذي قام به المغول الذين تدفقوا من أواسط آسيا على بلاد فارس، مما اضطر حاكمها إلى الخروج على رأس ألف ومائتي رجل فركبوا البحر نحو ساحل الزنج، وتمكّنوا من فرض سيطرتهم على الساحل، وأسّسوا مملكة أخضعت لسلطانها كثيراً من المراكز والجزر، ويمكن القول أنّها آخر الهجرات التي قام بها مسلمو الفرس [4].

وقد ذهب بعض المؤرخين إلى القول، بأن الشيرازيين ليسوا على المذهب الشيعي، وإنما كانوا مخالفين للشيرازيين الآخرين وأنّهم على المذهب السنّي، وعلّلوا ذلك بسبب انتشار المذهب السنّي في ساحل شرق أفريقيا وليس المذهب الشيعي ومن هؤلاء محمد المشري حيث يقول في كتابه بلاد القرن الأفريقي: «ويمكن القول إن هجرة الفرس الشيرازيين والتي كان لها صدىً كبيراً في ساحل شرق أفريقيا قد ترجع إلى الاختلاف المذهبي كما قال صاحب جهينة الأخبار، فربما يكون المهاجرون الشيرازيون على غير مذهب الشيعة، وبالتالي يكونون

(1) محمود الحويري، المرجع السابق، ص 30.

(2) عبدالرحمن زكي: الإسلام والمسلمون في شرق أفريقيا، ص 80.

(3) سبنسر ترمنجهام، المرجع السابق، ص 11 – 12.

(4) محمد الخويلدي، المرجع السابق، ص 44.

قد تعرّضوا إلى حالة من الاضطهاد أجبرتهم على ترك بلادهم وما يؤيد ذلك هو أن المذهب السنّي هو الذي ساد دولة كلوة» [1].

ويستدل على ذلك بأن ابن بطوطة عندما زار كلوة في القرن الرابع عشر الميلادي قال عن أهلها: «والغالب عليهم الدين والصلاح، وهم شافعية المذهب»[2].

والسبب الرئيسي في انتشار المذهب السنّي في كلوة وما جاورها هو هجرة النبهانيين، ففي سنة 601هـ/ 1203م أتت إلى جزيرة بات هجرة عربية كبيرة يتزعمها سليمان بن سليمان بن مظفر النبهاني، صاحب عمان، بعد أن ملّ كثرة الصراعات الداخلية التي شهدتها عمان على كرسي الحكم، ففضّل أن ينتقل بأهله وأتباعه إلى هذا المكان ليؤسس هناك سلطنة جديدة بعيدة عن هذه الصراعات[3]، فركب ومن معه السفن ونزلوا في جزيرة بات، واستقبله العرب المقيمون بها وكان معظمهم من عمان استقبالاً طيباً، ثم تزوّج الأمير النبهاني ابنة اسحق حاكم الجزيرة من سلالة الشيرازيين حكام كلوة، وبعد إتمام الزواج تنازل اسحق عن الحكم لصهره، فصار أميرها الشرعي، وتأسس حكم الأسرة النبهانية في تلك الجزيرة [4].

بدأ النبهانيون يمارسون سلطتهم على الساحل كغيرهم من حكام المدن الأخرى كمقديشيو وكلوة، إلاّ أنّهم في منتصف القرن الرابع عشر الميلادي، أصبحوا يمثلون قوة كبرى، وتمكّنوا من توسيع بات شمالاً وضمّوا إليها كلاً من شنجايا وفازا وهما من مدن جزيرة بات فضلاً عن بعض الجزر المجاورة [5].

ثم دخلوا في حرب مع سلطنة كلوة، انتهت باستيلائهم على جزر كريمبا في الجنوب، ومن المحتمل أنّهم استولوا على (سونجو منارا) التي تقع جنوب كلوة مباشرة، واتخذوا منها قاعدة تحكمت في تجارة ميناء كلوة، وهكذا امتد نفوذ تلك الأسرة إلى معظم الساحل الشرقي

(1) محمد المشري، المرجع السابق، ص 85.

(2) ابن بطوطة، أبو عبدالله محمد بن محمد اللواتي الطنجي: تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تحقيق: كرم البستاني، دار صادر (بيروت، 1380هـ/ 1960م) ص 258.

(3) رجب عبدالحليم، العروبة والإسلام، ص 54.

(4) محمود الحويري: ساحل شرق أفريقية، ص 31.

(5) محمد المشري، المرجع السابق، ص 85.

لأفريقيا، وأصبحت بات مركزاً لسلطنة عربية إسلامية بدأت تتسع بالتدريج ممتدة إلى داخل القارة، وتحوّلت إلى سلطنات إسلامية قوية لعبت دوراً عظيما في نشر الإسلام بين الأفارقة الأصليين [1]، وهذا ما يعلل انتشار المذهب السنّي بدلاً من الشيعي في الساحل الشرقي لأفريقيا.

9- هجرات بني هلال وبني سليم وأثرها في هجرات البربر لجنوب الصحراء:

في أيام الفاطميين جاءت هجرات عربية عن طريق مصر وهي قبائل بني هلال وبني سليم في أعداد كبيرة، انتشروا في بلاد الصحراء بالحرب والهجرة والإقامة الدائمة وتصاهروا مع سكانها واختلطت دماؤهم وأنسابهم وامتزجت، وعمّروا السهول والواحات وفيافي الصحراء، وعرّبوا أهل البلاد الأصليين، وانتشرت بينهم اللغة العربية وأصبحت لسانهم [2]، وغدت هذه البلدان بلداناً عربية إسلامية، ثم انطلقت منهم هجرات إسلامية لكنها كانت قليلة العدد، اتجهت جنوباً إلى الصحراء الكبرى ومنها إلى حوض السنغال والنيجر وحوض بحيرة تشاد مثل بني جذام وبني حسان، وبني معقل، وأولاد سليمان وجهينة واستقرت هذه الهجرات هناك واحتفظت بأصولها العربية [3].

ومن أدلة انتشار العرب والنفوذ العربي، أنّه قلّما تجد بيتاً حاكماً في غرب أفريقيا، إلاّ وينتسب بعض حكامه إلى أصل عربي، بعضهم يدعي نسباً علوياً أو أموياً أو عباسياً أو فاطمياً، وبعضهم يدعي نسباً يمنياً [4].

وإذا كان العرب قد هاجروا إلى البلدان الأفريقية في مختلف أنحاء القارة، وكان لهم أثرهم الكبير في نشر الإسلام ولغته وثقافته وإقامة سلطنات إسلامية، فقد كان لهجرات البربر أيضاً أثر عظيم جداً في نشر الإسلام خصوصاً في غربها، ولقد كانت غارات الهلاليين

(1) محمود الحويري، المرجع السابق، ص 31 – 32.

(2) علي الشطشاط: وسائل انتشار الإسلام في أفريقيا، ص 471.

(3) رجب عبدالحليم: المسلمون في أفريقيا...، ص 17 – 18.

(4) محمود، حسن أحمد: الإسلام والثقافة العربية في أفريقيا، دار الفكر العربي (القاهرة، 1407هـ/ 1986م) ص 60 – 61.

سبباً في هجرات قبائل كثيرة من البربر إلى منطقة الصحراء، ثم توغلها نحو الجنوب إلى منطقة السنغال والنيجر، ومن هذه القبائل التي هاجرت نحو الجنوب: هراوة ولواته ونفزاوة بعد غارات عرب الهلاليين مباشرة، وكان للطوارق أيضاً دور كبير في نشر الإسلام في منطقة السنغال والنيجر، وظلّت هجراتهم تؤثر في هذه الجهات حتى القرن الثامن عشر الميلادي [1].

وقد بدأ انتشار الإسلام في البربر مبكراً وأخذ ينمو في قبائلهم في الجنوب، تلك القبائل التي تميل إلى الهجرة، وتتخذ من الصحراء وطرفها مرتحلاً ومهجراً إلى السودان تستوطنه وتنشر الإسلام أينما حلّت، ومن أشهرها وأهمها قبيلة (صنهاجة) ببطونها المختلفة ويذكر ابن خلدون على وجه التعميم: «... أن الملثمين كانوا في كل نهضة من نهضاتهم يقيمون ملكاً واسعاً يتجه عادة نحو بلاد السودان، وأنهم أقاموا منذ وقت مبكر جسراً عبر الصحراء وصل السودان بالحضارة الإسلامية»[2].

وهكذا اختلط البربر بالزنوج والعرب في الصحراء وعلى أطرافها غرباً وجنوباً وامتزجت العادات والتقاليد والدماء، وقويت الصلات المتبادلة، ونتج عن ذلك الامتزاج شعب الهوسا الذي أصبح يتكلم لغة واحدة هي لغة الهوسا التي انتشرت انتشاراً كبيراً في غرب أفريقيا، ويدين معظمهم بالإسلام، كوّنوا إمارات أو ممالك إسلامية عرفت باسم ممالك الهوسا وهي: كانو، وكاتسينا، وزاريا، وجوبير، ودورا ورانو وزمفرة [3].

فالهجرة التي قام بها البربر من مبدأ دخولهم في الإسلام يحملونه معهم أينما حلّوا وينشرونه في المدن والقرى والواحات في الصحراء، حتى ساحل المحيط الأطلسي ومشارف السودان، كذلك قامت قبيلة لمتونة من البربر بدور كبير في نشر الإسلام بين الزنوج، وقد بلغ من قوة سلطانها ونفوذها ما جعلها سيّدة على العديد من ملوك السودان وبخاصة في عهد ملكهم (تين يروتان الأودغستي)، ونتيجة لهذه الهجرات أسلم ملك التكرور (وأرجاني بن

(1) حسن محمود، المرجع السابق، ص 61.

(2) حسن عبدالظاهر: الدعوة الإسلامية في غرب أفريقيا، ص 95.

(3) رجب عبدالحليم: المسلمون في أفريقيا، ص 51.

رايس م سنة: 932هـ/ 1040م)) على يد البربر، وكان ذلك عاملاً في ازدياد نشر الإسلام في غرب أفريقيا حتى وصل إلى غانة واعتنقه كثير من سكانها [1].

وأما قبائل الطوارق أصحاب اللثام الأزرق فهم من شر قبائل البربر وأكثرهم بداوة ويسكنون الصحراء، خاصة منطقة الهجار، كما ينتشرون في هضبة أهير وغيرها من الواحات، ويساكنهم في مواطنهم بعض الزنوج من السودان الذين يقومون بشتى الأعمال في المراعي والخدمة [2].

وازدادت هجرات الطوراق أمام هجرات العرب من بني هلال وبني سليم في القرن الخامس الميلادي وامتدّوا وانتشروا إلى الغرب والجنوب من بلاد السودان حتى منعطف نهر النيجر، واستولوا على منطقة آهير من يد السودانيين من أهل غوير، وكان لإسلام الطوارق أثر كبير في تطور الأحداث في المنطقة، ترتب عليه قيام نشاط توسعي نحو الجنوب لنشر الإسلام بين الزنوج [3].

لقد كانت هجرات عرب بني هلال وبني سليم سبباً في هجرات قبائل كثيرة من البربر إلى منطقة جنوب الصحراء، ولعبت هجرات القبائل البربرية وتحركاتها دوراً عظيماً في نشر الإسلام [4]، وكوّنت هذه الهجرات وغيرها من هجرات العرب الهاربين من مذابح الصليبيين في أوروبا أيام انهيار دولة المسلمين في الأندلس، بعد سقوط آخر معاقلهم (غرناطة) في أواخر القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي، ونزوح الكثير منهم إلى أفريقيا وخاصة صوب السودان الغربي وعاشوا فيه [5]، كوّنت مورداً لا ينضب من الدماء التي تسري في شرايين حركة انتشار الإسلام في أفريقيا جنوب الصحراء، حيث ساهمت مساهمة فعالة مع غيرها من المسالك، في إرساء دعائم هذه الحركة ونجاحها في فترة وجيزة من الزمن [6].

(1) حسن عبدالظاهر، المرجع السابق، ص 95 – 96.
(2) المرجع نفسه، ص 58.
(3) سلجمان: السلالات البشرية، ص 43.
(4) حسن محمود، المرجع السابق، ص 59 – 60.
(5) سعد غيث، المرجع السابق، ص 160.
(6) علي الشطشاط: وسائل انتشار الإسلام، ص 471.

10- هجرة وتحركات شعب الفولاني:

تتحدث بعض الروايات عن أهل الفولاني وترد نسبها إلى أصول شرقية سامية عربية، وغير عربية أو حامية، وهذا الأمر كما ذكرنا معهود عند كثير من شعوب السودان كلّه قديماً وحديثاً، وكتّاب الفولاني وعلماؤهم يعمقون أصول نسبهم ضاربين في أغوار التاريخ حتى يرجعون نسبهم بأبي الأنبياء إبراهيم (خليل الرحمن) (عليه الصلاة والسلام)[1]، وعندما جاء الفتح الإسلامي لشمال أفريقيا، وامتد به عقبة بن نافع الفهري القرشي إلى المغرب، ثم عطف على ساحل المحيط الأطلسي وانتهى إلى بلاد آسفي[2]. وأجاز إلى السوس وأشرف على منطقة التارورانت في جنوب المغرب أسلموا على يديه وتزوج ابنة ملكهم واسمها (بج مع) وولد له منها أربعة أولاد إليهم ترجع كل قبائل الفلان، ثم تزوّجوا وتكاثروا، فكان ذراريهم الفلان، وفي ذلك يتولى الشيخ عبدالله بن فودي في كتابه ضياء التأويل في معاني التنزيل:

فتوردت أخـــوال الفـولانيـــين ❖ أخوة لعرب فمن روم بن عيص تفرعوا
وعقبة جد للفولانيين من عرب ❖ ومـــن تورب كانت أمهـــم بج مع [3].

وفي القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي، قامت ثورة كبيرة بمناطق الفولاني، فافترقوا وهاجر أحد زعَمائهم وهو (موسى جكل) بجماعة منهم متجهين صوب الشرق قاصدين الهجرة إلى الحجاز، لكن انتهوا إلى أن أقاموا في بلاد الهوسا، واختلطوا بهم، وكان موسى جكل هو الجد الحادي عشر للشيخ عثمان بن فودي الذي قاد حركة التجديد الإسلامي، وجاهد ضد الوثنية في قومه ووطنه حتى قامت على يديه دولة إسلامية ؛ وواصل بعضهم الهجرة حتى وصلوا برنو ودارفور وأقام موسى جكل في أرض (كن) وهي مدينة من مقاطعة آدار، وساكنوا أهلها من أول دخولهم، وكان منهم البدو الرحل المشتغلون بالرعي، ومنهم الحضر المستقرون، والمشتغلون بالعلم[4]، وكانوا يتفوقون على الوطنيّن في الثقافة مما

(1) حسن عبدالظاهر، المرجع السابق، ص 67.

(2) السلاوي، أبو العباس أحمد بن خالد الناصري: الاستقصا لأخبار المغرب الأقصى، دار الكتاب (الدار البيضاء، 1374هـ/ 1954م) 2/ 132.

(3) حسن عبدالظاهر، المرجع السابق، ص 68.

(4) المرجع نفسه، ص 70 – 71.

جعل لهم مركزاً خاصّاً، وفي هذا الموطن كانت ألوانهم قد تغيّرت نتيجة الامتزاج الطويل مع الوطنيين، وقد تحرّك فرع منهم إلى أداماوا في حوض نهر بنوى الرافد الشرقي الكبير لنهر النيجر وكان هذا الفرع من أشدّ فروع الفولانيين تحمّساً للإسلام، ويتمذهبون بالمذهب المالكي، وقد أسلم ملك جني حوالي نهاية القرن السادس الهجري حوالي 1200م، وحذا حذوه سكان مملكته، ثم هدم قصره وشيّد في مكانه مسجداً، وقد أثنى ابن بطوطة الذي وصل إلى تلك البلاد على حماس الفولانية في أدائهم لعبادتهم، وفي دراسة القرآن الكريم، ونشر الإسلام[1].

11- تحركات وهجرات الشعوب والقبائل الأفريقية:

قبل الحديث عن هجرات وتحركات الشعوب والقبائل الأفريقية ودورها في نشر الإسلام في منطقة جنوب الصحراء، أودّ أن أشير إلى بعض الهجرات العربية المتأخرة والجاليات العربية في جنوب الصحراء، فإلى ساحل بلاد الصومال وصلت مجموعة من سلالة عقيل بن أبي طالب استقرّت في أرض الزيلع في مدينة جبرت(أوفات)، وقد أطلق عليهم اسم الجبرتية، وازداد نفوذهم حتى ظهروا في القرن الثالث عشر الميلادي في سبع ممالك إسلامية عرفت بدول الطراز الإسلامي عملت على نشر الإسلام في بلاد القرن الأفريقي [2].

كذلك تدفقت بعض القبائل المغربية وخاصة قبائل لمطة إلى الضفة اليسرى لنهر النيجر عند مدينة (دندي) وسيطرت على الزراع من أهل صنغي، ورحّب هؤلاء بهم ليحموهم من الصيّادين الذين كانوا يعتدون عليهم، ونجح هؤلاء الوافدون في تكوين أسرة حاكمة، كوّنت علاقات تجارية مع غانة وتونس ومصر، وكانت هذه العلاقات ذات أثر بعيد في تحويل ملوك صنغي إلى الإسلام في بداية القرن الحادي عشر الميلادي [3].

ويشير عبدالمولى الحرير إلى أن من أكثر الهجرات الإسلامية فعالية تلك التي كانت تتوغل

(1) جوب، إبراهيم موسى: الفولانيون ودورهم في نشر الإسلام بغرب أفريقيا «فوتا سنقومايو»، رسالة ماجستير غير منشورة نوقشت بجامعة الفاتح (طرابلس، بتاريخ 1414هـ/ 1993م) ص 56 – 58.

(2) محمد المشري: بلاد القرن الأفريقي، ص 86.

(3) رجب عبدالحليم: المسلمون في أفريقيا، ص 37.

في القارة عن طريق المسالك الصحراوية القادمة من ليبيا، وأهم هذه جميعاً هجرات أولاد سليمان والأدوار الفعالة للدعوات الفكرية الإسلامية التي انطلقت من المغرب العربي [1].

ولقد احتلت الجاليات المغربية مكانة مهمة خاصة في تمبكتو فمنصب الإمامة للجامع الكبير في أكثر الأحيان أسند إلى علماء من شمال أفريقيا، ومنهم على سبيل المثال سيدي عبدالرحمن البلبالي (من توات)، وأبو القاسم التواتي ومنصور الفزّاني وسيدي على الجزولي [2].

وسكن في (تنبكت) أناس من (أوجلة وفزّان وغدامس)، وكان أفراد جالية غدامس وأوجلة وتوات، ذوي مراكز اجتماعية وسياسية مرموقة ونجد في تلك المرحلة اسم الحاج علي بن سالم بن عبيدة المصراتي، ضمن أعيان المنطقة وكان أفراد الجالية الغدامسية من الكثرة بحيث إنّهم شيّدوا حيّاً خاصّاً بهم في تمبكتو، ويعد ذلك الحي من أرقى أحياء المدينة وأجملها [3].

ولم يتمتّع أفراد تلك الجالية دائماً بتلك الامتيازات، وذلك الأمان والسلطة والجاه والنفوذ، فعندما حاصر سني علي مثلاً مدينة تمبكتو واحتلها عام 1486م تعرّضت تلك الجالية لعسف وجور شديدين وهرب بعض أفرادها إلى مدينة (ولاتا) على أن ذلك لم يدم طويلاً فسرعان ما عادت الجالية العربية إلى نشاطها في تمبكتو بعد موت سنّي علي [4].

أما عن هجرة وتحركات الشعوب والقبائل الأفريقية، فإنه أول ما يقابلنا من الشعوب الأفريقية من الشرق البجة الذين كانوا يسكنون في الصحراء الشرقية ما بين أسوان والبحر الأحمر شمالاً، وتمتد أراضيهم حتى شمال بلاد الحبشة وأريتريا جنوباً، وقد انتشر الإسلام بينهم منذ القرن الأول الهجري/ السابع الميلادي، ونظراً لجفاف أرضهم وصعوبة الحياة في بلادهم وإغارة النوبة عليهم، وتوجيه سلاطين المماليك في مصر حملات تقمعهم وتسيطر عليهم، أخذت جماعات كثيرة منهم تهاجر جنوباً منذ وقت مبكر يعود إلى القرن السابع

(1) عبدالمولى الحرير، المرجع السابق، ص 43.

(2) السعدي: تاريخ السودان، ص 58.

(3) الفيتوري، أحمد: الجاليات العربية المبكرة في بلاد السودان، مجلة البحوث التاريخية، العدد 2 يوليو، مركز دراسات وجهاد الليبيين (طرابلس، 1402هـ/ 1981م) ص 249.

(4) المرجع نفسه، ص 249.

الميلادي، واستطاعت قبيلة الزنافج البجاوية أن تهاجر من مواطنها وتخترق هضبة أريتريا عن طريق وادي بركة وتخرّب إقليم خماسين، وأجبرت الكثيرين من الأحباش إلى الهجرة صوب الجنوب، وكان الإسلام قد انتشر مع البجة في كل مكان هاجروا إليه وأثّروا في الشعوب التي جاوروها[1].

وكان للشعوب والقبائل الرعوية في شرق أفريقيا دور عظيم في نشر الإسلام في هذه البلاد، ومن هذه الشعوب، شعب الأعفار الذين يطلق عليهم العرب اسم الدناكل، وكانوا يعيشون فيما يعرف اليوم باسم أريتريا، ونظراً لقربهم من اليمن لإطلالهم على البحر الأحمر ساعدهم ذلك على الاحتكاك بالتجار والمهاجرين المسلمين فانتشر الإسلام بينهم مبكراً ونظراً لهجراتهم الموسمية لاستبدال أوطانهم الجرداء بأوطان أخرى من بلاد الحبشة والصومال في القرن السادس عشر الميلادي فقد ساهموا في نشر الإسلام وحركة الجهاد العظمى التي قام بها أحمد القرين الصومالي، لرد عدوان مملكة الحبشة المسيحية، فآزروه وهزموا الأحباش وتوغّلوا في بلادهم ونشروا الإسلام في ربوع الحبشة حتى صار ثلاثة أرباع سكانها وقتذاك من المسلمين [2].

كما اعتنق بعض سكان السواحل (البانتو) الإسلام منذ القرن الرابع عشر الميلادي، وبواسطتهم انتقل إلى بعض القبائل الوثنية، ومن هذه تسرّب إلى بعض أفراد قبائل الماساي، ومعظم سكان الساحل من العرب المسلمين، وغالبيّتهم ممّن يتبعون المذهب الشافعي، يوجد في شمال كينيا قبائل صومالية مسلمة، وبواسطتهم انتقل الإسلام إلى الغرب والجنوب [3].

وفي منتصف القرن السادس عشر الميلادي حملت لواء الدعوة قبائل قوية مثل قبائل: (البوهل والفولا) بالهجرات الجماعية التي قامت بها هذه القبائل في حوض نهر السنغال مدفوعة بدوافع دينية وسياسية توسعية، طامحة في توحيد أرض الإسلام في غرب أفريقيا وقد توجهت هذه الهجرات نحو الشرق إلى نيجيريا وتشاد، وجنوباً إلى الفوتاجالون (غينيا) وركّزت هذه القبائل على نشر التعليم الديني وإنشاء المساجد كأهم معالم للإسلام، وتمكّنت القبائل

(1) حسن محمود، المرجع السابق، ص 376 – 378.

(2) رجب عبدالحليم: العروبة والإسلام في أفريقيا الشرقية، ص 57 – 58.

(3) عبدالرحمن زكي: الإسلام والمسلمون في شرق أفريقيا، ص 93.

المهاجرة إلى غينيا من تأسيس دولة إسلامية على مبدأ الشورى، استمرت حتى مطلع القرن التاسع عشر الميلادي [1].

ومن الهجرات التي أثرت في انتشار الإسلام هجرات قبائل الجلا، وهي قبائل بدوية رعوية، انتشر الإسلام بين أفرادها منذ القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي، واستطاعوا أن يحتلوا منطقة كبيرة من هضبة الحبشة، وعملوا على نشر الإسلام في منطقة القرن الأفريقي في بلاد الحبشة، وأسسوا دولة استمرت حتى سنة 1884م [2].

وكان لهجرات النوبيين والصومال والزنوج، دعم كبير لحركة نشر الإسلام في شرق أفريقيا، وكانت وراء توسع السلطنات الإسلامية التي قامت في هذه المنطقة وساعدتها في ردّ عدوان الأحباش على المسلمين ومن أهم القبائل التي اعتنقت الإسلام وعملت على نشره في أفريقيا قبيلة (ياو) التي تعيش الآن في جمهورية مالاوي، وكانت هذه القبيلة تبشر بالإسلام في المنطقة التي يرويها نهر لوجندا، ونشرت الإسلام في جميع الأراضي الممتدة من بحيرة نياسا إلى الساحل الأفريقي الشرقي، حتى أصبحت كل قرية فيها تحتوي على مسجد [3].

خلاصة:

لقد تعاقبت الهجرات العربية والإسلامية على أفريقيا جنوبي الصحراء، وأظهر العرب قدرات عالية في التأثير على المجاميع التي سكنت معها وبرز عدد من القادة المسلمين كان لهم دور كبير في نشر الإسلام، فأسهموا في ترسيخ أسس العقيدة الإسلامية حتى بدأ مواطنون أفارقة يدعون إلى الإسلام بين مواطنيهم في حركة سلمية [4].

إن هذه الهجرات وغيرها من هجرات البربر وتحركات الشعوب الأفريقية كان لها الفضل الأول والأكبر في نشر الإسلام في أفريقيا جنوب الصحراء [5]، خاصة في الأجزاء

(1) عبدالمولى الحرير: الإسلام وأثره على التطورات...، ص 43.

(2) حسن محمود، المرجع السابق، ص 936.

(3) رجب عبدالحليم: العروبة والإسلام، ص 60.

(4) ظاهر محمد: التواصل العربي الأفريقي، ص 33.

(5) عبداللطيف، علي محمد: أفريقيا العربية، جمعية الدعوة الإسلامية (طرابلس، 1407هـ/ 1986م) ص 40.

الشرقية والوسطى منها، وذلك لقربها من مراكز أغلب هذه الهجرات، أما الأجزاء الغربية فإن تأثير الهجرات فيها لم يكن قوياً وكافياً لتحوّلها إلى الإسلام، كما كان في الشرق، وإنما جاء انتشار الإسلام فيها لعوامل أخرى سنذكرها في موضعها إن شاء الله.

ونتيجة لهذه الهجرات الإسلامية المتتابعة انتشر الإسلام واللغة العربية بين السكان المحليين، وشمل كذلك الجزر المواجهة لأفريقيا مثل جزيرة زنجبار وجزر القمر وجزيرة مدغشقر (مالا جاش) وتكوّن عالم إسلامي واضح المعالم والقسمات، نشأت فيه دول وسلطنات إسلامية، ظلت موجودة حتى اصطدمت بالبرتغاليين والأحباش، ثم بالاستعمار الأوروبي الحديث [1].

كذلك وجد الإسلام منتشراً في جنوب أفريقيا، عن طريق جماعات من أهل الملايو وأندونيسيا، ومن سيلان وشبه القارة الهندية، فما إن حطوا رحالهم في جنوب أفريقيا حتى انطلقوا يدعون إلى الإسلام، واستجاب لهم الكثيرون وتألّف من هؤلاء المهاجرين والذين استجابوا لهم وحدة إسلامية واحدة متناسية الوطن الأصلي واللون والجنس [2].

إن هذه الهجرات وغيرها كانت ولازالت مورداً لا ينضب معينه من الدماء التي تسري في شرايين حركة انتشار الإسلام في أفريقيا جنوب الصحراء، حيث أسهمت إسهاماً فعّالاً في إرساء دعائم هذه الحركة ونجاحها [3].

(1) رجب عبدالحليم: المسلمون في أفريقيا، ص 17.

(2) أحمد شلبي: موسوعة التاريخ الإسلامي، 6/ 191.

(3) علي الشطشاط: الهجرات العربية، ص 426 – 427.